مجموعة قصصية

خبايا الحكايا

سلوى يوسف أبو سيف

دار الريان

مجموعة قصصية

خبايا الحكايا

سلوى يوسف أبو سيف

إهـــداء ...

✍ إلى عائلتي التي لم تبخل عليّ بالدعـم والتشجيع . .

✍ وإلى كـلّ محبي الحكـايات الشعبية أُهدي كتابي هذا . .

بطاقة شكر...

✍ **كل الشكر والامتنان للكاتب وليد شعيب على مراجعة بعض النصوص وإبداء الرأي وبعض الاقتراحات .**

✍ **كل الشكر والامتنان للفنان بسام فواز هنيدي لتقديمه لوحة الغلاف .**

اسم الكتاب : **خبايا الحكايا**

اسم المؤلف : **سلوى يوسف أبو سيف**

الطبعة الأولى : ٢٠٢٢

عدد النسخ : ٥٠٠ نسخة

موافقة رقم ١٦٩ عام ٢٠٢١ تاريخ ٢٠٢١/٣/١٧

صورة الغلاف : الفنان بسام فواز هنيدي

سوريا . السويداء . هاتف ٠١٦/٢٣٥٦١٠ ـ ٠١٦/٢٢٢٦٨٠

نبذة عن حياة المؤلف

سلوى يوسف أبو سيف :

- من مواليد قرية الكفر ـ السويداء ١٩٥٢ .
- أتمت المرحلة الابتدائية في مدرسة الكفر الريفية .
- درست المرحلة الإعدادية والثانوية في ثانوية الفتاة في مدينة السويداء .
- ارتادت جامعة دمشق عام ١٩٦٩ كلية الآداب . قسم اللغة الانكليزية . كانت أول فتاة ترتاد الجامعة وتحصل على شهادة جامعية في قرية الكفر.
- تخرجت عام ١٩٧٣ .
- أعطت ساعات خارج الملاك في قرية الكفر ودمشق ومدرسة التمريض في السويداء.
- عملت مترجمة عقود في معمل السجاد بالسويداء ولمدة سنتين أثناء فترة إنشائه .
- تعينت على ملاك التربية مدرسة للغة الانكليزية في ثانوية الشهيد بيان حديفة بلدة الكفر عام ١٩٧٨.
- أحيلت على التقاعد عام ٢٠١٣.

يوم القيامة

صحا الشيخ "جابر" على حلمٍ فظيع ، إذ رأى ملكاً أخبره إنّ القيامة قد قامت وعليه أن يخبر الناس بالالتحاق فوراً بمكان الحساب .

ارتدى ثيابه على عجل وحمل الرّفش والمِعوَل وخرج يدّقُ على أبواب جيرانه كي يسرعوا، إذ أنّ الساعة قد حانت .

وبينما هو يستنهض هذا ويخبر ذاك عن النبأ العظيم فإذا به يرى الشاب "اسماعيل" يقوم ببناء حائطٍ في إحدى الورشات . صاح به الشيخ "جابر" قائلاً : لماذا أنت هنا يا هذا. ألم ترَ الناس يتراكضون للّحاق وأخذ دورهم في طوابير الحساب! ..انزل ..انزل بأقصى سرعة عن الحائط ..لعلّك تجد لك دورا!

ضحك الشاب وقال : يا شيخنا الجليل لقد ذكَرَتْ الكتب المقدّسة أنّ القيامة ستقوم و(المعمرجي عالحيط)[1] .

لا عليك ..لن يضيرني شيءٌ إن أنا أكملت بناء الحائط ومن بعدها التحقت بالطوابير. لكنّني أودّ أن أسألك سؤالاً: لماذا

[1] المعمرجي : هو البنّاء .

تحمل رفشاً ومعولاً على كتفك وأنت ذاهبٌ إلى يوم الحشر وتحثّ الناس على الإسراع إلى الحساب ؟

ردّ الشيخ جابر: لن يسامحني الله إن أنا التحقت بالجموع قبل أن أسقيَ كَرْمي المزروع بالتين والزيتون .

ماذا تفعل الكلمة بنا ؟!

عندما صدر كتابي"طرائف ومواقف" كنت خائفة جدّاً ألّا يتقبّله القرّاء كونَه أوّلَ تجربةٍ لي في النشر. وقبضت قلبي بكلتا يديّ خشيةَ أن تأتيَني الانتقادات اللّاذعة على بعض ما ورد في الكتاب من قصص وطرائف خاصة إذ كنت أستخدم لهجتنا المحلية (العامية) بكثرة وكتبت بعض الخواطر التي كانت تنتابني بين الحين والآخر خلال أربع سنوات استغرقها إتمام الكتاب .

وأكثر ما كنت أخشاه أن يقع بين يدي كبار المثقّفين من أصدقائنا الذين كانوا يتردّدون إلى بيتنا باستمرار ومنهم الباحث القدير المرحوم الأستاذ "قاسم وهب" الذي تجمعنا به علاقة مصاهرة . حيث قلت لزوجي: إنني لن أهدي كتابي للأستاذ قاسم بشكل خاص، لأنه لا يمكن أن يعجبه ومن المستحيل أن يرقى إلى ذائقته الأدبيّة وهو الباحث القدير الذي كتب عن المعرّي والمتنبّي وابن خلدون وغيرهم، وألّف وراجع العديد من الكتب التاريخية القيّمة وأدب الرحلات وكَتَبَ الشعر أيضاً .

وإذ جاء لزيارتنا في أحد الأيام وفتحت له الباب للترحيب به ، قلت له خائفة وضاحكة في الوقت نفسه : أستاذ قاسم ! أنا لن أهديك كتابي مهما كلّفني الأمر (كله ولا إنت). لا..لا..لن أفعل ذلك أبداً .

ضحك الأستاذ قاسم ضحكةً من قراقيح (من صميم) قلبه وهو ما يزال واقفاً على الباب وقال :(ليش ما بدك تهديني الكتاب ؟ والله إنّه كتاب جميل يحكي عن واقع الناس البسطاء بصدق وشفافيّة) .

اندهشت جدّاً وفرحت جدّاً وقلت له كيف عرفت ذلك وأنت لم تقرأه بعد ؟ ضحك مرّة أخرى كعادته وقال : يا سيّدتي كنت أقرأ قصصك على الفيس بوك من دون أن تدري.. لكنّني لم أكن أُعلّق ولا أضع شوهد يعني (لايك).

عندها شعرت وكأنّ حِملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلي وغمرني شعور بالسعادة لا يوصف وزال خوفي من أن يقرأ كتابي الأستاذ قاسم وغيره من كبار المثقّفين واعتبرت كلامه تشجيعاً لي وشهادةً ثمينةً مازلت أحتفظ بها في ذاكرتي حتى الآن .

ومن فرط سعادتي ركضتُ إلى المكتبة وجلبت له نسخة من الكتاب وكتبت الإهداءَ بخط عريض وقلت له مازحة : "ظلّوا تذكرونا من خلال ما كتبنا ".

لم أكن أدري بأنّه سيُعجّل بالرحيل وسوف نتذكّره نحن من خلال ما ترك لنا من روائع أدبية ، رحمة الله عليه ..

هذا ما تفعله بنا الكلمة ... ترفعنا إلى العلياء أو تدفعنا نحو الهاوية . سنظلّ نتذكّر الأستاذ قاسم وهب والأستاذ (صيّاح الجهيّم) وغيرهم و ممّن رحلوا عنا من خلال ما تركوه لنا من عصارة أفكارهم وزبدة دراساتهم وأبحاثهم الخالدة .

بلاد العوّايات[1]

عندما يئس العابد (محمد الباروكي) من إصلاح أحوال الناس وردعهم عن أعمال الشر قرر أخيراً أن يترك ضيعته اللبنانية "الباروك" ويرتحل شرقاً إلى بلاد الواحات التي قيل أنها مسكن لكل من خلصت نفسه من الآثام وتطهّرت من كلّ الشرور .

وبعد عناء طويل ، طويل استطاع أن يصل إلى تلك البلاد الأسطورة . فقد رأى هناك مالم ترَه عين وسمع مالم تسمعه أذن ؛ إذ لا مكان هناك إلا للخير والعدل والجمال والعيش الرغيد. نفوس صفت وتطهّرت وانسجمت مع قوانين الكون وارتاحت من عناء التعلّق المقيت بالمادّة .

هناك ، لا رئيس ولا مرؤوس ولا ظالم ولا مظلوم ولا قهر ولا عذاب ولا بكاء على فراق .

استطاع محمد الباروكي التأقلم مع هذه الحياة الجديدة التي طالما أشتاق إليها . وتزوّج من إحدى بنات الواحات

[1] بلاد العوّايات: المقصود فيها سكّان كوكب الأرض الذين يبكون ويجوحون ويلطمون الخدود والرؤوس ويصرخون فوق رأس الميت .

ورزقه الله بابن وحيد ربّاه وأحسن تربيته كما درج عليه أهل تلك البلاد .

وفي ليلة ليلاء لم تخطر على بال العابد محمد الباروكي، أصابت الحمّى ولده الوحيد و أودتْ بحياته في صباح اليوم التالي .

قالوا له : لا بكاء على فراق هنا في بلاد الواحات . إيّاك ثم إيّاك يا شيخ محمد أن تبكي على ولدك . هذا مخالف لقوانين بلادنا .

اشتدّ الحزن على قلب الشيخ ولم يستطع كبْتَ دموعه، فسقطتْ دمعةٌ على جثّة ولده وهو يُودِعه القبر. دمعة واحدة لا غير لم تلفت نظر أيٍّ من المشيّعين ، وعاد الكلّ إلى بيوتهم راضيين بقدر الله وله مسلّمين .

لم يمضِ على دفن الجثة بضعة أيام حتى فاحت من القبر رائحةٌ كريهةٌ لم يعهدها أهل تلك البلاد بعد دفن موتاهم .

قالوا : لا بدَّ أن محمد الباروكي القادم من بعيد قد بكى على ولده وسقطت الدموع من عينيه على الجثّة أثناء الدفن .

أسرعوا إلى الشيخ المكلوم على موت ولده واستفسروا منه عن ما حدث . قال لهم : نعم ، لقد فشلت بالإلتزام بقوانين بلادكم وسقطت من عيني دمعة واحدة ..واحدة فقط،

وها أنذا أطلب المغفرة من ربّي على فعلتي هذه ومنكم ..آمل ألا يخيب الرجاء .

في بلاد الواحات كلّ شيء يمشي بمقدار ، قوانين كونيّة لا يمكن اختراقها .

رُفض طلب الشيخ الزاهد ولم يُقبل بأيّ شكل من الأشكال بعد أن تسبّبت دمعته تلك بتلوث المكان وصدور الروائح الكريهة وكان القرار الصارم الذي لا رجعة فيه . قالوا له : "ارجع يا محمد إلى ديارك البعيدة تلك وعُدْ من حيث أتيتَ، إلى بلاد العوّايات ، أنت لا تصلح للعيش في بلاد الواحات المباركة ونحن لا يمكننا مسامحتك على اختراقك لقوانين بلادنا " .

ذكاء قائد

إبّان حملة التطوّع لمقارعة الاستعمار الفرنسي في سورية ، ذهب أحد شباب جبل العرب المتحمّسين للقتال إلى مخيّمات الثوار للتطوّع في صفوفهم .

دخل على خيمة المجاهد حمد البربور وأعلمه عن رغبته بالالتحاق بالثورة . قال له المجاهد حمد البربور : ليس لي صلاحيّة قَبولك أو رفضك. تلك هي خيمة القائد العام للثورة سلطان باشا، فعنده الجواب والقول الفصل .

دخل الشاب خيمة سلطان باشا و عرّف بنفسه و أعلن رغبته في التطوّع في صفوف الثوار. رحّب به الباشا وأثنى على حماسه ورغبته في مقاومة المستعمر وقال له: (نحنا يا بيّي قدراتنا محدودة وما عنّا بواريد وخيول نقدّم لك بالوقت الحاضر. روح يا بيي شلّح شي عسكري فرنساوي بارودته وفرسه وارجع لعنّا لحتى نضُّمكْ لصفوف الثوار) .

طابور مشلول

عادَ "أبوذوقان" ابن السبعين عاماً إلى بيته من الكازيّة (محطة الوقود) خالي الوفاض بعد أن وقف على الدور (أربطعشر) ساعة من دون أن تتحرك سيّارته من مكانها (ولا إنش مربع.)

يبدو أن الطابور الذي تدحّمه قد صلّى عليه إبليس . إذ كان يرى بأم عينه سيارات أخرى و درّاجات نارية ربّما صلّى عليها المسيح (تمزُق) من هنا ومن أبواب خلفية وقد فاحت منها رائحة البنزين الشهية تزكم أنوف المشويّين تحت أشعّة الشمس.

أخذ "أبوذوقان" عدّة (المتي) وكلّ أدويته مع لحاف ديباج وعاد أدراجه إلى (الكازيّة) ليلتحق بطابور آخر محمّلاً بدعوات "أم ذوقان" وصلواتها بأن يعود هذه المرة إلى البيت مضمّخاً بعطر البنزين النادر غداً صباحا قبل صياح الدّيك .

عطر البنزين ولا دهن العود والعطور الخليجية !

أطفال الملاعب

..... باللهجة العامية .....

ماجد منادياً بأعلى صوته من تحت النافذة : سمير ! ياسمير ...أبدّكش تروح معنا نلعب فطبول بالحارة ؟

سمير : لا ..لا...دخل عمرك ! مبارح عمي بو سعيد قلّي " بدي اشرطلك الفطبول بالسكين وشيلك من فوق راسي وإلبزّك إذا بعد بتجي بتلعب هون..ولاه ! " ..وقلّعني وغرَتْني لباب دارنا ..لكن الله سبّق لطفه.

ماجد : طيب تعال نروح نلعب سلّي بملعب المدرسي الشرقية لكان .

سمير: لا..لا..كلّه ولا ملعب المدرسي الشرقية ..مبارح وإني عبلعب سلّي هونيك وقعتْ وانفكشت إجري لأنه الملعب والعياذ بالله مصبوب اسمنت مسلّح تلاث طبقات فوق بعضهن .

ماجد : لكان ..بقُلّك ؟ تعال نروح نلعب التخبّاي بالبستان الغربي تحت النجاصات .

سمير : دخل عمرك ياماجد ! كلّو ولا البستان الغربي ... هونيك في حفرة ميّ غميقة كثير إذا لاسمح الله وقعنا فيها

منغرق بثمان متار من ميّة الشتا وأحسن سبّاح بالضيعة ما بيقدر يشيلنا . لا خيي لا.. بدك تروح روح لحالك ...أني مش رايح معك .

ماجد : لكان معش إلنا غير نروح نلعب بالمازات[1] أو بنات البلاطة[2] بميدان الضيعة ؟

سمير : قال ميدان الضيعة ..قال ! بدك تدهسنا شي سيّارة ولا شي واحد عبيشفط عالطريق ... مش شايف الموتورات مثل النمل عبتقبّن تقبين ولا كأنّو في حدا. وين عايـــش أنت يا صديقي ؟

ماجد : طيب .. وين بنا نلعب لكان ،فقعت روحنا ونحنا مزروبين بالبيت ؟

سمير : في عندك أحد حليّن ،يا ماجد ياصديقي . يا إما منروح نلعب بحدائق بابل المعلقة عالإنترنت..يا إما عمك بو سعيد بيعلقلنا مشنقتنا إذا رجعنا لعبنا تحت شبابيك بيتو وعكّرنا عليه نومة بعد الظهر الهنيّة .

وأني خيّرتك ياماجد ..فاختار!

---

[1] المازات : الدحل .

[2] بنات البلاطة : ألعاب تخصّ الأطفال قبل اختراع التلفزيون والكمبيوتر ووسائل الترفيه الحديثة .

عضّنا الكلب بنابه
ليت ماحلّ بنا به

طِرتُ من الفرح عندما قالت لي أمي:(روحي ياسلمى استقرضيلنا خمس ترغفي خبز من عند عمتك عطرشان) .
كان الوقت في عزّ الظهيرة والجو قائظٌ والحرارة مرتفعة (بتحرق ذيل العصفور والدنيا مسنكبي) .
قفزت عن (الطرعة) التي تفصل بيتنا عن بيت جارتنا إم حمد عطرشان كعصفور تعلّم الطيران حديثا. كان عليّ أن اجتاز كرمَنا المزروع بالعنب وصفّاً من أشجار السنديان المعمّر وشجر الزعرور الشائك الذي علقت (مزاليفه) في ثيابي بينما كنت أحاول جاهدة أن أمُرّ من بين الفروع المتشابكة .
كانت عمتي أم حمد ما تزال تخبز آخر رغيف على الصاج ، ثم بعضاً من (الطلامي) وفطائر اليقطين ،عندما دخلت إلى الحوش الذي كانت تستعمل جزءاً منه كمخبز . طلبتُ منها الخبز ؛ إذ كان شيئاً متعارفاً عليه بين الجيران أن يستقرض المرء أي شيء على شرط أن يعيده بنفس المقدار وبعض الزيادة حتى لايلحقَ ذمّتَه الحرام . فأنتَ تستطيع أن تستقرض الخبز، الملح، البهارات، الدبس، الدهن، البيض،

كلّ شيء،كل شيء ولا إحراج في ذلك ولا عيب .

أعطتني عمتي أم حمد الخبز وفوقهم بعض الفطائر والطلامي الساخنة. أخذتُهم وعدتُ أدراجي. وما إن قفزت إلى داخل الكرم المجاور لبيتنا وخطوْتُ بضع خطوات ووضعت لقمة في فمي وبدأت بقضمها حتى رأيت كلبَ جارنا (نجيب) يهجم نحوي بسرعة فائقة مكشّراً عن أنيابه .

كان هذا الكلب الأسود ذو العيون الصغيرة الصفراء التي تنبىء باللؤم يهابه كلّ من في القرية حتى أشجع رجالها، إذ كان ما يزال في أوج فتوّته وهيَجانه حتى قيل في القرية أنّه (قاطع السابلة) .
لم أكن أتوقع وجودَ كلب في عزّ الظهيرة فكلّ شيء كان يغطّ في نومٍ عميق حتى أوراق الشجر .

عَلقتْ اللقمة في حلقي ولم أستطع البلع وصرخت صراخاً يصمّ الآذان. لم أكن أتوقّع أنّ الكلب يكره الأطفال إلى هذه الدرجة، إذ هجم علي بشراسة ورماني أرضا ومزّق ثيابي . تشبّثت بالخبزات جيّداً خوفاً من أن يأخذهم منّي ولايستطيع أهلي تناول الغداء .كنت في أقصى الكرم بعيدةً عن البيت عندما ناديت إمي عدّة مرات لكنّها لم تسمعْني . لم استسلم،

بل حاولت تخليص نفسي من هذا الكلب الشرس وشددْت ثيابي على جسمي بقوّة وحاولت سحبها من بين أسنانه لكنّه كان أقوى منّي وفشلت.

صرختُ ..لكنّ صرختي كانت ضعيفة هذه المرة واختنقت بدموعي ..أغمضتُ عيوني وجرجرتُ نفسي على التراب والحصى و دخلتُ في شبه حالة من فقدان الوعي وكان الكلب الأسود ينشب أنيابه وأظفاره في جسدي الصغير. غبتُ للحظة من الزمن عن الوعي لأفتح عينيّ مجدّدا وأرى جارنا "حسين " مُخلّصي الشهم وقد أمسك بيديّ وحاول النهوض بي وفي يده الاخرى عصا كبيرة ضرب بها الكلب المسعور على رأسه ضربة قوية فولّى هارباً يعوي من الألم

عمي "حسين" المُخلّصْ لملمَ ثيابي ونفض الغبار عنها وسوّى شعري الأشعث وهدأ من روعي ، ثم قادني إلى البيت بينما كنت ماأزال متشبثة بأرغفة الخبز وفطائر اليقطين والطلامي من شدّة حبي لأمي أخوتي وخوفي أن يفوتهم طعام الغداء من دون وجود الخبز.

كم كان تفكيري بريئاً وطفوليّاً وساذجاً عندما اعتقدتُ أن الكلاب لاتغدر بالأطفال ولا تشتهي نهش لحومهم الغضّة .

تباً لك أيّها الكلب المسعور إذ مازالت عيونك الصغيرة الصفراء تلاحقني في يقظتي ومنامي حتى الآن، بل ربما سأنطق بها في سبعة أجيال قادمة .

مدنيّة في غير أوانها

عاد الشاب "عطاء "من الجامعة الامريكية إلى قريته الصغيرة التي لم تكن وصلتها المدنيّة بعد . لاكهرباء ، لاماء في الحنفيات، لا تلفاز ولا أيّ نوع من الاتصالات سوى صوت الناطور في الكروم يعلن عن اشتباهه بسارق للعنب، أو صوت المنادي ينادي من أعلى سطح في القرية معلناً وفاة أحدهم .

كان أفراد الأسرة العشرة بما فيهم الأب والأم يتحلّقون حول طبق واحد مصنوع من القشّ ليتناولوا طعامهم الذي كثيرا ماكان يتكوّن من صينية كبيرة من المجدّرة وحولها عدة رؤؤس من البصل وحبّات البندورة وعشرة أرغفة من خبز الصاج الشهي . لا ملاعق ولاصحون ، بل اللّقمة تعيض عن الملعقة والصحن .

قال عطاء : مارأيكم أن نستبدل طبق القش بطاولة وحولها كراسي ونتعود الأكل عليها ، فهي أسهل وأنظف وأكثر مدنيّة . هكذا هم في لبنان لايأكلون إلا على الطاولة وكلّ إنسان له صحنه وملعقته الخاصة به .

وافقت الأسرة على الاقتراح وذهب الأب وأحضر طاولة كان قد جليها معه من جزيرة أرواد أثناء خدمته العسكرية هناك. وهرعت الأم وبقية أفراد العائلة لوضع شرشف عليها وصينيّة المجدرة وأرغفة الخبز ورؤوس البصل، وحولها وضعوا عدداً من الكراسي لم يكف لكلّ أفراد الأسرة حيث بقي أكثرهم واقفاً .

وما إن بدأ الأب بالبسملة على الطعام حتى سمع صوتاً يناديه من باب الدار: (يابو حسين ! يابوحسين!)

(مان عيّط ؟ مان عيّط ؟ تفضلوا ..شرفوا !) رد أبو حسين ونهض مسرعاً ليرى من هو الزائر .

وما أن لمح أصدقائه الثلاثة (بوحسن سلمان ، وبوسماعين أمين ، وبو محمود جادالله) حتى عاد مسرعاً إلى العائلة وقال لهم وكأنه قد وقع في ورطةٍ كبيرة :

"يا أم حسين، ياولاد ، يابنات، ياعطا، عجلوا ..عجلوا..ضبّوا هالطاولي والكراسي. ضبوهن، ناوين تفضحونا بين أهل الضيعة يعني؟".

أسرع الجميع إلى إخفاء الطاولة وما عليها (بخفية الكرعوب) وأعيد وضع الطعام على طبق القش مرة أخرى وكأن شيئا لم يكن . إذ كان من المعيب وشيء يبعث على السخرية أن تأكل الأسرة على طاولة وحولها كراسي . ومن المعيب أيضا أن يطلب الأب غرفة نوم لابنته أو طاولة سفرة كجزء من جهاز العروس . ومن المعيب جداً أن يحمل الأب ابنه أو يجرّ عربة طفله وزوجته تتبختر بجانبه مرتاحة إلا من حقيبة يدها والموبايل في يدها تتكلّم في الطريق تارة تضحك وتارة تغضب غير آبهة بهذا ولا بذاك من المارّة حتى لو كان شيخ الضيعة بذات نفسه كما يحدث اليوم في عصر الإنترنت والتواصل الاجتماعي .

يا قرد السما !

عبارة .."ياقرد السما"...لها معنى سلبي في موروثنا الشعبي ، على أساس أن القرد هذا الحيوان الذي يمثل القباحة غير محبّب إلى الله لأن الله جميل ويحبّ الجمال. كان أهلنا يمنعوننا من ذكر كلمة "قرد" في أحاديثنا حيث إنّ ذكره يجعل البركة تطير من البيت وكانت جدتي عندما ترى وجه هذا المخلوق البشع تشيح بوجهها عنه وتبدأ بالبسملة وقراءة الأذكار حتى تطرد طاقة الشر التي أحدثتها صورة القرد.

آه لو عرفت جدّتي أنّنا ننحدر من سلالة القرد حسب رأي داروين ماذا كانت ستفعل بالله عليكم ؟

ليلــةٌ ليــــلاء

جاء عيد الصليب وحان موعد لَمِّ الزبيب من "المساطيح" المنتشرة في الكروم البعيدة عن القرية . كان "بومعذى" قد هيأ نفسه للذهاب إلى كرمه لحراسة محصوله الوافر من الزبيب وحمايته من غزوات اللصوص المتوقّعة لفترة يومين أو أكثر حتى يجفّ بشكل كامل، ومن ثم سوف يجمعه وينقله إلى البيت ويبيعه في السوق .

ركب "بومعذى" دابّته وتأبّط بارودته مصطحبا معه ضوّاية تعمل على زيت الكاز وزوّادة جهزتها "إم معذى " فيها بعض الأطعمة تكفيه لعدّة أيام .

وصل "بومعذى" إلى الكرم مع حلول الظلام .تناول عشاءه على مهل وبدأ يشعر بالنُعاس . تلفّعَ بفروته الصوفية جيداً واندسَّ في فرشته ليستجمع بعض الدفء في هذا الجو التشريني البارد .

لفَّ السكون المكان . كان يقطعه بين الحين والآخر صوت عواء ذئب هناك، أو تحرّكات سريعة لثعلبٍ جائع يبحث عن طريدة ،أو صوت صرصور يغنّي في هدأة الليل هذه ، حتى كاد النعاس أن يغلبه ويغطُّ في نوم عميق .

وبينما كان يتأرجح بين النوم واليقظة وإذ به يسمع جلَبَةً في أسفل الكرم وصوت وقع أقدام تقترب شيئاً فشيئاً من "المسطاح". شعر بالخوف، إذ لايخاف إلا كلُّ ذي عقل راجح، وهيّأ نفسه لمجابهة الموقف. أصبح صوت الأقدام أكثر وضوحاً الآن . لم يكن لديه وقتاً ضائعاً ليفكّر بل أغمض عينيه وتظاهر بالنوم العميق وافتعل حالةً من الشخير المتقطّع والتحف بغطائه بعد أن أدرك أن اللّصوص قد جاؤوا لسرقة الزبيب . كان قد أخفى البارودة تحت مخدته وأطفأ الضوّاية وتسمّرَ في فرشته .

عندها اقترب أحد اللصوص منه ووقف فوق رأسه مباشرة، استرق "بومعذى" النظر من تحت غطائه، ويالهول مارأى ! كان اللص يحمل بلاطة ثقيلة موجهة نحو وجه "بومعذى" مباشرة، في حالة استعداد تامّة للانقضاض عليه في أيّ لحظة يستيقظ فيها أو يحاول الدفاع عن نفسه، بحيث يرمي اللص البلاطة على رأسه ويخنقه حتى الموت .

كانت جلبةُ بقيّة اللصوص قد بدأت وتحرّكاتهم قد اتّضحت. أسرعوا بتكويم الزبيب ووضعوه في أكياس ثم ذهبوا بها إلى أسفل الكرم وحمّلوه على ظهور الدواب.كانت عين "بومعذى" النصف مفتوحة معلّقة على البلاطة

المجهّزة للسقوط على رأسه في أية لحظة وبدأ جسمه يتشنّج بقوّة. ياله من فيلم رعب مخيف !

أنهى اللصوص مهمّتهم و(قشُّوا) كلّ الزبيب وأعطوا إشارة خفيّة لبعضهم بعضاً بأن يغادروا الكرم فوراً بعد أن نجحت المهمّة .

رمى اللص الواقف فوق رأس بومعذى البلاطة الثقيلة على الأرض وولّى هارباً ليلتحق برفاقه. وما إن اعتلى اللصوص ظهور الدّواب المحمّلة بأكياس الزبيب متوجّهين نحو الغرب حتى سمعوا صوت إطلاق رصاص كثيف يأتي من أعلى الكرم. كان "بومعذى" قد جهّز بارودته لهكذا لحظة استثنائية وبدأ بإطلاق الرصاص في الهواء لتخويفهم.

اعتقد اللصوص أنّ مجموعة من أهالي القرية اكتشفتهم وجاؤوا الآن يلاحقونهم . لم يكن لديهم الكثير من الوقت للتفكير، لذلك رموا أكياس الزبيب على الطريق وولّوا الأدبار هاربين، وتشتّتوا بين الكروم وتركوا دوابّهم سائبة ولم يعد يُعثر لهم على أثر.

عاد بومعذى إلى فرشته الباردة مجدداً محاولاً النوم، لكن من أين سيأتي له النوم في ليلة كالتي مرّت عليه .

انبلج الصباح ونزل "بومعذى" إلى الطريق المحاذية للكرم وبدأ بنقل أكياس الزبيب المسروقة إلى بيته، بعد أن استطاع بأعجوبة تجنُّب الموت خنقاً ببلاطة ثقيلة واستعادة محصوله من الزبيب الجاف .

يا لها من ليلة ليلاء مرّت على العم "بومعذى" لن ينساها طيلة عمره ظلّ يكرّرها على مسامع أصدقائه وأحفاده مدّة طويلة وهم غير مصدّقين لما يقول .

برنامج انتخابيّ

برنامج (مدلّلي) الانتخابيّ يتضمن ما يلي :

لا لشرب المتي حتى يتمّ اكتشاف لقاح الكورونا . لا ل (ردّات الإجر) والتجمعات مهما كانت الأسباب. لا للتدخين والنرجيلة. لا لعمليات التجميل و(التاتو) . لا لغرفة المقاطيع .

نعم لتعليم المرأة . نعم لتحديد النسل . نعم لعمل المرأة الشريف خارج المنزل . نعم لزيادة الرواتب . نعم للتساوي في الميراث مع الرجل .

إذا عجبكن برنامج مدلّلي..صوتوا لها !!

بقايـــا صـــور

في بيت المرحوم فضل الله حاتم كنا نستأجر غرفة أنا وإخوتي لتلقّي العلم في مدينة السويداء. كان ذلك في سبعينيّات القرن الماضي .

قلت لزوجي بالله عليك خذني إلى ذلك البيت الذي كنت أعتقد أنه كان مرتعاً للجنّ في أقبيته وخاناته السفليّة التي طالما أرعبتني وقطّعت نياط قلبي من الخوف أن يتلبّسني الجنّ في إحدى تلك الليالي البائدة . لم يرفض زوجي طلبي وأخذني بالسيارة إلى بيت ستي إم فضل الله الكائن في حارة بيت حاتم غرب المشنقة والذي يمرّ من ساحة بوّز .

كم كانت صدمتي شديدة عندما رأيت البيت قد أصبح أطلالا وجدرانه وحجارته قد تساقطت فوق الأفاريز والقناطر ، لكنّ الغريب في الأمر أن شجرة التوت المعمّرة مازالت موجودة تحمل كبوش التوت الأبيض الشهي ..

وا أسفاه ! لقد نسفت الجرافات أثناء شقّ الشارع المحوري كل شيء وطمرت الآثار الرومانيّة وهدمت المنازل الحجريّة العتيقة ودفنت المعالم الأثريّة تحت الأنقاض .. كل شيء قد أصبح بقايا صور .

من قصص الأطفال

اشترى "بومعذى" (جلالاً) لحماره الأبيض الذي استطاع الحصول عليه من قافلة الغجر التي كانت تمرّ من جانب بيته . كان هذا الحمار تحفةً للناظرين؛ قويّ البنية سريع الجري ويستطيع حمل الرجل وثلاثة من أولاده ... جميعاً يركبون فوق حمل كبير من (الفراكي)[1].

عندما حاول "بو معذى" تلبيس (الجلال) للحمار وجده صغيراً لا يناسب حجمه الكبير لسوء الحظّ. لذلك قرر إرجاعه إلى (الجلالاتي) لعلّه يُجري عليه بعض التعديلات ليناسب حجم الحمار.

بعد فترة بسيطة من الزمن أراد "بو معذى" أن يشتري لنفسه (قْشاط)[2] ليلُفّهُ حول خصره فوق قمبازه الجديد الذي سيرتديه بمناسبة عرس ابن أخيه .

بعد أن اشترى(القشاط) بنفسه وعاد به إلى البيت ، حاول أن يجربه على خصره فقد نسيَ أن يجرّبه في المحل.

---

[1] الفراكي: قضبان وورق العنب الخضراء تجلب لتأكلها الحيوانات .

[2] قشاط : حزام من جلد يُلبس حول الخصر

كان ابنه "ممدوح" ذو السبع سنوات يراقب أباه بكلّ انتباه وهو يجرّب (القشاط) .

ولسوء الحظ أيضاً تبيّن أن الحزام قصير ولا يكفي لتطويق خصر "بومعذى" الرجل الجَهاميّ[1] الضخم .

عندما رأى "ممدوح" والده يحاول أكثر من مرّة ويفشل في وضع الحزام حول خصره بسبب قصره قال له :

(يابيّي .. قشاطك هذا خيّو لجْلالْ[2] حمارنا الأبيض).

---

[1] جهامي : ضخم ، قويّ البنية

[2] جْلالْ : ما يوضع على ظهر الحمار يصنع من القصل وقماش خاص . الجليلاتي الشخص الذي يصنع الجلال .

انبطاح !!!!

كانوا يعزلون أنفسهم في غرفةٍ من غرف البيت ويضعون الكمّامات ويتباعدون بمقدار متر ونصف على الأقل . لم يمنعهم ذلك من تجاذب أطراف الحديث وتناول الطعام والقيام بالأعمال المنزليّة من تعقيم وكلّ ما أوصت به وزارة الصحة لتفادي الإصابة بكورونا .

بينما كانت الجدّة "إم حسين" في أوج فرحها بأحفادها وبناتها وأبنائها وهم يستمعون إلى حكاياها عن الغول والساحر ، محاوِلةً أن تنسيهم موضوع الحجر الصحي الثقيل الظلّ، إذ تراءى لها من زجاج النافذة خيالُ إحدى جاراتها المعروفة بحبّها الشديد (للتمجيق)والتبويس على الخدين، و(التعبيط) والشدّ على الخصر وتقبيل الوجنتين حتى تكاد تُرديكَ قتيلاً من كثر الشوق والحنين .

أسرعت الجدّة(من حلاة الروح) إلى أحفادها جميعا وبناتها واشارتْ بعصاها وهمست بصوت ضعيف وقالت :

(إنبطاح.إنبطاح...)

وانبطحت أمامهم جميعاً على أمل أن ينبطحوا مثلها ولا ينبسوا بأيّة كلمة حتى لاتراهم "أم جدعان" من زجاج

النافذة العالية وتتوقف عن طرق الباب وتعود أدراجها إلى بيتها ، وبذلك يكونوا قد تفادوا قبلاتها(هلي مابيعود يجيها تالي) .

انبطح الجميع على الأرض بما فيهم الجدّة وقطعوا نفس على الأخير حتى استفلست أم جدعان من وجود أيّ شخص في البيت ممّا اضطرها الى العودة إلى بيتها خائبة وضمرت في نفسها أن تأتي غدا (سرْوي من قبل الضو) لتكحّل عيونها بمرأى صديقتها أم حسين (وتشربلها شي كاسة متّي على رواق)... وفي الصباح دوماً رباح ويتوقّف الجميع عن الكلام المُباح .

حاسس حالي بعدي زغيّر
وكَنو قلبي بعدو شب

عندما أُحيل الأستاذ "ناصيف" إلى التقاعد بعد خدمة أربعين سنة في حقل التربية والتعليم حيث ناهز عمره الستّين ونيّف، دخلت الشابة "ريّا" ابنة صديقه "رضوان" لكي تبارك له بالتقاعد .

ريّا : (صبحك بالخير عمّي "ناصيف" . نشالله ألف مبروك التقاعد . عسى أن تقضيها بالصحة والعافية . الله لايغلبك ياعمْي بجاه الحق !).

(شو عمّي وماعمّي هذي يا ريّا ؟ من أول الطريق ولا من تاليه. هذي أول وآخر مرة بسمعها منك. قال عمي "ناصيف " قال! أني الإستاذ " ناصيف ".الإستاذ " ناصيف " ...فهمتي يا ريّا ..فهمتي.. ولا بعد بفهمك ؟ معش تعيديها كلمة عمّي هذي. معش تعيديها . بزعَلْ منك كثير كثير !) ردّ الإستاذ ناصيف بغضب .

كل رغيف حوله تسعة
كأنمّا صلى عليه المسيح

في العام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد،كان "فايز" يخدم برتبة ضابط في مدينة بعيدة جدّا عن قريته. كان القحط والجفاف والفقر قد عمّ معظم بلاد الشام ومنها سورية حتى أصبح الناس يأكلون خبز الشعير ولايجدون القمح لصنع الخبز أو البرغل ليطبخوا منه أيّ شيء يؤكل .
وبعد غياب طويل أتت الأخبار إلى القرية مع أحد الجنود أن "فايز " سيأتي في إجازة قصيرة لزيارة زوجته التي كانت تسكن في بيت والدها مع ابنتها الرضيعة والعمّات والأخوات جميعاً في دار العائلة الحجريّة المكوّنة من غرفتين فقط، واحدة لكلّ أفراد العائلة والأخرى تُركت لفايز عندما يعود الى القرية أو لضيف عابر أو مستقرّ.
بعد أن أعطاها الجنديّ مئة ليرة سورية عدّاً ونقداً أمانة من زوجها بدأت سَلَمّية بالتفكير كيف ستؤمّن القمح والبرغل كي تصنع منه الخبز والطبيخ لزوجها الذي طالما انتظرته ،بل كيف ستكرمه وماذا ستطبخ له كُرمى لواجبه .

في صباح اليوم التالي بدأت تدقّ على أبواب القرية بيتاً بيتاً بحثا عن القمح والبرغل، لكنّها عادت خائبة ولم تجد شيئاً يسدّ الرمق . وعند عودتها إلى الدار حسيرة؛ وإذا بها تصادف امرأة من القرية تقول لها : اذهبي إلى بيت "حَمْده طاروش " ربما تجدين ضالّتك عندها .

لم تكذّب سَلَمّية خبراً، بل عادت أدراجها إلى بيت "حمده" آخرِ بيتٍ في القرية من جهة الجنوب وسألتها إن كانت تملك القمح او البرغل للبيع ، إذ لايليق بزوجها الضابط الكبير في الجيش أن يأكل خبز الشعير بعد طول غياب عن بيته وعائلته .

قالت حَمْده : حظّك طيب يا سَلميّة . لقد بقي عندي مدٌّ من القمح وسيكون من نصيبك ونصيب زوجك إن شاء الله.

فرحت سَلمّية فرحاً لا يوصف ودفعت "لحمده" سبعة عشرة من الليرات السورية ، مبلغاً كبيراً جداً بالقياس لذلك الزمن ثمناً لمُدّ القمح وحملته إلى البيت وسارعت إلى تصويله وتجفيفه في أرض الدار.

عندما جفّ القمح جيداً قسمته نصفين ، نصف طحنته في المطحنة لتصنع منه الخبز ونصف سلقتْه وجففته وجرشته وعملت منه برغلاً للطبخ .

بدأت الحياة وحركة غير معتادة تدبّ في الدار والجوار . "سَلَمية" تخبز على الصاج ووالدتها تهيّء ما تيسّر من الموجود وأهل القرية يتوافدون لاستقبال الغائب ،فقد حان موعد قدوم "فايز" الضابط المقدام. .

وما إن أنهتْ "سَلمْية " حتى ترجّل الفارس من سيارة الجيب الغريبة على القرية ودخل بيته والأهازيج والزغاريد ترافقه.

بعد أن استراح قليلاً من طول السفر ظهرت "سَلَمية " يغمرها الفرح العارم، حاملة طبقاً من القشّ عليه بيضٌ مقليّ وصحناً من الزبدة وآخرَ من الدبس وعدّة أرغفة من خبز القمح الشهيّ التي كانت قد خبزته توّاً .

في هذه الأثناء كان الطفل "حسن" ابن السبع سنوات يلعب في أرض راكباً قصبة ويردّد بعض الأهازيج الشعبيّة التي كان يرددها الثوّار أيام فرنسا ويحمل في يده رغيفاً أسود اللون خشناً وسميكاً يأكل منه قضمة كلما غنّى مقطعاً من الأهزوجة .

تقدم "الضابط" لتناول طعامه . ونادى على الطفل حسن وبقية أفراد العائلة ليتقاسموا معه الطعام .

تلكّأ "حسن" في الاقتراب من الطبق عندما سأله "فايز" ماهذا الذي تأكله؟ لكنّ "حسن "لم يجب. نادى على

"سَلمية" وسألها ماهذا الذي يأكله "حسن" . قالت بأسى: إنّه يأكل خبز الشعير الذي لانملك غيره وشرحت له أحوالهم وأحوال الناس والمجاعة والفقر اللذين اجتاحا البلاد .

لم يصدق "فايز" ماسمعته أذناه . معقول أن تصل الأمور إلى هذا الحدّ ؟

تعالي يا سَلمية ..أسرعي أرجوك أن تفعلي ما أقوله لك فوراً ولا تتلكئي .. تعالي ..اجمعي كل أرغفة خبز القمح التي على الطبق وأعيديها الى مكانها. هاتي لي رغيفاً من خبز الشعير الذي يأكل منه "حسن" ابن أخيك سلمان وكل أهل القرية . أُقسم بالله العظيم إنني لن أتناول خبز القمح وأنتم تأكلون خبز الشعير. سيكون هذا محرّماً عليّ حتى أرى "حسناً" وكل أطفال قريتي يعودون إلى أكل خبز القمح من جديد . جمعت سَلمية خبز القمح واستبدلته بخبز الشعير بناءً على رغبة زوجها وأكل فايز خبز الشعير أسوة بأهل بيته وقريته والطفل الصغير حسن .

" يا سُليمى أشعلي النارَ .... إن من يهواكِ قد حَارا "..

كان ذلك قُبيل حرب فلسطين ١٩٤٨

طبّ بديل

وزائرتي التي ليس تزور إلا في الظلام استطابت المناخ ولم تفارقني طيلة سبعة أيام بالتمام والكمال. تنام إن نمت وتفيق إن فقت . لكنني ـ أنا المُضيفة ـ ضقت ذرعاً بها ولم أعد أطيق ملازمتها لي كظلي .

استنجدت بأمي وناديت عليها من تحت غطائي الذي بلّله العرق بصوت مخنوق بالكاد أفلتَ من بين لوزتيّ اللتين أصبحتا مثل بيضتين لدجاجة عتقيّة.

قلت لأمي إنني لم أعد أحتمل تلك الحمُّى اللعينة التي وصلت إلى الأربعين درجة مئوية والتهاب (بنات الآذان) والبلعوم الذي حرمني من بلع لُقيمات خبز إلا صغيراتها .

أسرعت أمّي لنجدتي وقالت : لاعليك ياصغيرتي ..لا عليك . سوف آخذك إلى عمّتك إم سليمان في الحارة (التحتا) لكي (تشنقك) وعندها سوف تشفين من التهاب اللوزات .

"تشنقني ؟؟ كيف..كيف ستشنقني...هل تريدين لي الموت يا أمي ؟"

وبكيت بكاءً مريراً . لكنّ أمّي أصرّت وسحبتني من فرشتي وحملتني على كتفيها إلى العمة إم سليمان .

لم أتوقّف عن البكاء وانتابني الرعب ـ أنا الطفلة الصغيرة ذات العشر سنوات ـ من تلك المشنقة التي ستشنقني بها عمتي إم سليمان .

وضعتني أمي أمامها . حاولت بلع ريقي عدّة مرات لكن ريقي توقّف في الحلقوم وسلمت أمري لله وصرت كالميت بين يديّ المغسّلين، ثم أغمضت عيوني حتى لا أرى أعواد المشنقة التي نصبتها لي أم سليمان.

دخلت العمّة الى خزانةً خلفيّة وراء الجدار وعادت وهي تحمل قطعة قماش طويلة ملفوفة تشبه الحبل الغليظ وتقدّمتْ نحوي.

وقالت : لاتخافي ياصغيرتي . .لاتخافي ...(ياما صرت شانقة ناس.. كبار وزغار وكلهن طابوا من التهاب اللوزات من تحت ديات عمتك إم سليمان) . هيا ارفعي رأسك للأعلى ..هيا !

رفعت رأسي بتثاقل عندما أصبحت العمة إم سليمان تقف خلفي. لفّت (الأنشوطة)حول عنقي وراحت تشنقني من رقبتي عدّة مرات وتشدّني نحو الأعلى .تارة ترفعني وتارة تخبطني على الارض . كرّرت الأمر عشرات المرات حتى كدت أن ألفظ أنفاسي الاخيرة ، و(شلشَلِتْ) .

لم تكتفِ عمتي أم سليمان بهذا القدر من التعذيب بل أنزلتني على الأرض وقالت : افتحي حلقك ياصغيرتي..هيا افتحي حلقك .

فتحت فمي. مدّت أصابعها الأربعة الخشنة كجلد تمساح إلى داخل بلعومي وقحطت ماوجدت من مادة بيضاء على لوزتيّ بعنف ومن دون أن يرفّ لها جفن ، لكن جفوني احترقت وتورّمت من الألم والبكاء .

صَرختُ .. . لكنها لم ترحمني ولم تتركني حتى أزالت كل الالتهاب الكائن في لوزتيّ وحلقي .

ارتميت في حضن أمي منهكة القوى بعد حفلة التعذيب هذه وعادت بي الى البيت لأنام تلك الليلة من دون حراك أو ألم حتى انبلاج الصباح . تلمستُ جسمي وجبهتي باحثة عن زائرتي الثقيلة التي ليس تزور إلا في الظلام فلم أعثر لها أثر لقد اختفت مثل لص هارب .

رغم كراهيتي لزائرتي الثقيلة ، إلا أنني توقعت أن تزورني كل سنة مرّة على الأقلّ.لكنها ومنذ أن شنقتني العمة إم سليمان انقطعت عن زيارتي آخذة التهاب اللوزات والبيض العتقيّ معها وإلى الأبد . وكانت مشنقة إم سليمان ويداها الخشنتان التي كادت أن تمزّق بلعومي ..كانت البلسم الشافي ومسحة

من مسحات الرسول خلّصتني من التهاب اللوزات طيلة أربعين عاماً .

حلوى العيد

احتارت الجدّة إم حسين ماذا ستقدّم لنا في العيد . كنّا أربعة أطفالاً عندما دخلنا بيتها الحجريّ القديم الذي ظلّلته سنديانة معمّرة وحجبت عنه شمس الظهيرة الحارقة ، نحمل أكياساً صغيرة خاطتْها لنا أمهاتنا لكي نضع بها حبّات الملبّس اللّذيذة ونعود بها مساءً إلى البيت تغمرنا فرحة عارمة إن استطعنا جمع أكبر قدْر ممكنٍ منها .

تدافعنا نحو الجدّة التي كانت تتفيأ تحت ظلال الشجرة وقلنا لها بصوت واحد : "كل عام وأنت بخير ياجدّتي" وقبَّلنا يدها على أمل أن تعطينا حلوى العيد بالسرعة القصوى .

تقدّمت الجدّة وقبّلتنا جميعاً وقالت : "وأنتم بألف خير أعاده الله عليكم بالخير والبركات يا أولادي "، ثم دخلت إلى بيتها وقالت : انتظروني قليلاً هنا .إياكم أن تغادروا قبل أن أقدم لكم (نُقل العيد)إياكم !

انتظرنا بلهفة لنرى حبّات الملبّس من كلّ الألوان تحملها إلينا الجدّة .

خرجت الجدّة متّكئة على عصاها تمشي الهُوينا وتحمل بيدها المرتجفة صحناً صغيراً وقالت : تفضّلوا يا أولادي ..تفضّلوا..هاكم هو نقل العيد . أحلف بالله العظيم إني لا أملك سوى هذا في بيتي .

أشرأبّت أعناقنا لنرى ماذا يوجد في الصحن . ياللخيبة ! كان في قعر الصحن المتآكل بضع حبات من الحمّص المبلول وكرتان من لبن القطيع الذي كساه العطن .

سقطت على خدها دمعة مسحتها بأكمام ثوبها الأسود وهي تردّد : سامحوني..

سامحوني يا أولادي.الله يلعن أبو الفقر..الله يلعن أبو الفقر.

كيف يتصرّف الكبار

أراد أحد المغرضين أن يشوّه سمعة الشيخ "يوسف" أمام المغفور له سلطان باشا الأطرش في إحدى مضافات جبل العرب ، لغاية في نفسه وحسداً لذلك الشيخ لما كان له من معزّة عند الباشا .

قال : يا باشا ..الشيخ يوسف قد ذمّك وتكلّم عنك بسوء في مضافة زيد من الناس !

نظر الباشا إلى ذلك النمّام باستخفاف وقال :

"لا... يابا ... لا... ابيعملهاش الشيخ يوسف ... عيّالله عنو... عيّالله عنو .. هو أكبر من هيك بكثير" .

اليوم العالمي لحقوق الحيوان
Covid 19

استطاع كورونا أن يجعل الصروح والعروش والأبراج التي شيّدها الإنسان عبر العصور، استطاع أن يحولها إلى أقفاص عملاقة تسجن بداخلها كل الأعراق والأجناس البشريّة من الأوروبيّ، الأمريكي،الإفريقي، الآسيوي، الشرق أوسطي، الأمريكي اللاتيني...

وها نحن نرى اليوم أنّ كلّ أنواع الأسماك والطير والماعز والفيلة والدبابير والزواحف تستعدّ للقيام بزيارة جماعية "لحديقة الإنسان "الهائلة .. بعد أن قرّرت الانعتاق وإلى الأبد من أقفاص ما كان يسمى بالأمس "حديقة الحيوان " .

بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الحيوان ...١٩ covid

صرنا نبعثلِك مكتوب
تبعثي مكتوبين

خطر ببالي وأنا أقرأ هذا الكم الهائل من الرسائل والدردشات على الفيس ، الماسينجر والواتس آب التي تصلنا من كل أنحاء العالم ومن كلا الجنسين، ذكوراً وإناثاً، بالإضافة للفيديوهات التي لاتعد ولاتحصى..

خطر ببالي كيف كان الوضع قبل نصف قرن من الآن . فيا ليلها وسواد ليلها تلك الفتاة التي تسوّل لها نفسها أن تستلم رسالة من شاب يريد التقرّب إليها أو يفاتحها برغبته بالزواج منها . كان هذا الأمر يُعتبر من أكبر المعاصي . كانت الأرض تقوم ولا تقعد على رأس هذه الفتاة خاصة، وربما يُقابَل تصرفها بالضرب أو التعنيف من قبل أهلها. وإذا ما تقدّم هذا الشاب الذي أرسل تلك الرسالة إلى خطبتها ، كان الأهل سيرفضون الفكرة جملةً وتفصيلاً وسيعتبرون ذلك الشاب خارجاً عن العادات والتقاليد الأصيلة، إذ عليه عندما يريد الزواج من إحداهنّ أن يدخل من الباب مباشرة وليس من الشبّاك كما يقول المثل ويتقدّم لخطبتها من أهلها مباشرة . فكيف بنا اليوم ونحن نرى أن كل مايتعلق بأمور

الخطبة والزواج من تعارف وتفاهم وتخطيط لحياة جديدة يتم عبر الواتس آب، وما على الأهل إلا المباركة وحضور حفل الزفاف، ليس أكثر.

يالطيف..وين كنا ووين صرنا !.

المدينة المسحورة

كلّ شيء جعلته الساحرة الشريرة حجرا . الناس في الشوارع. الأشجار والزهور والعصافير المغرّدة بقيت كما هي لكنّها أصبحتْ حجريّة. أمٌّ ترضع وليدها من صدرها أصبحت حجراً. النهر تجمد وأصبح حجراً . الأسماك وحيوانات البحر توقّفت عن السباحة وبقيت كما هي بعد أن أصبحت حجراً. حزنت الطفلة ساندريلا وأصابها الرعب والهلع وبدأت تلتصق بوالدها وتغطي عينيها بيديهاحتى لا ترى هذا المنظر المفزع . كانت رحلة غريبة تفوق تصوّرها. كيف يمكن لكلّ شيء أن يتجمّد ويفقد الحركة ؟ تشبّثت بوالدها بقوة وفزعت فزعاً شديدا عندما نظرت إلى السماء إذ رأت الغيوم وحبّات المطر قد أصبحت حجارة أيضاً وتوقّفت مابين السماء والأرض لم تستطع الجاذبية شدَّها إلى الأسفل.

حزنت عندما رأت فراشة صغيرة تحاول الطيران ونحلة تجمع الرحيق قد أصبحتا من حجر. لقد توقف كلّ شيء . توقّف الزمان . توقّف الحلم .

كانت ظلال هذه المدينة المسحورة تلاحقني في أحلامي ويقظتي ولم تتوقّف حتى رأيت ما رأيت من مدن أصبحت مدن أشباح. لاشيء يتحرك فيها. ناطحات سحاب. قصور، معابد، كنائس، حدائق، شوارع ليس لها نهاية، مترو أنفاق وبشر داخل منازلهم . لكن لاشي يتحرك .

هو عنوان كتاب صغير كنت قد قرأته وأنا طفلة في عمر العشر سنوات ولم أَنسَه يوماً. لقد حظرتْ أحداث هذه القصة في ذهني من جديد وبقوة أكبر بعد أن حول فيروس كورونا الشرير العالم إلى مدن أشباح، كلّ شيء فيه قابع في مكانه لا يتحرّك ...

هل يمكن لقصص الساحرات والخيال العلمي وأفلام الرعب أن تصبح حقيقة واقعة ..أم أننا نعيش في عالم مسحور قد تحولت فيه المشاعر إلى حجر؟؟؟

لقد كان القدر طيّباً معي

كنت لاأزال في عمر خمس السنوات عندما أرسلني أبي إلى المدرسة الابتدائية في جزيرة أرواد . لم أكن أعلم ماذا تعني كلمة مدرسة . اعتقدت أنها لاتفرق عن البيت في شيء إلا بوجود رجل ضخم جداً بين مجموعة من الأطفال الصغار مثلي. عندما بدأ هذا الرجل يتكلّم،لا أعرف حول ماذا ، دخلتُ في إغفاءة طويلة.. طويلة لم يوقظني منها سوى صعصعة الأطفال وضحكاتهم وصوت ذلك الرجل الضخم يربّت على كتفي حتى أفيق من نومي العميق. فتحت عينيّ بصعوبة بالغة عندما حملني ذلك الضخم بين ذراعيه وضمّني إلى صدره ووضعني فوق طاولة مهترئة كانت مركونة في زاوية الصف . ثم أخذ من جيبه فاكهة صفراء جميلة . قشّرها، ثم بدأ يطعمني إياها وهو يبتسم. آه ما أشهى هذه الفاكهة! لم أرَ مثلها ولم أذق شيئاً كهذا في قريتي مسقط رأسي، الكَفر ، وهي قرية جميلة في جنوب سوريا ؛ حيث لم تكن تلك الثمرة معروفة لديّ . ثمّ عرفت فيما بعد إنها ثمرة اليوسف أفندي التي كانت تزرع في الساحل السوري . قال لي ذلك الرجل الذي لم أعد أراهُ ضخماً، بل رأيته يشبه ابي،

قال : تعال غداً إلى المدرسة يا ولدي فسوف أطعمكَ اليوسف أفندي مرة أخرى وسوف تجعلك يقظاً ولن تنام في الدرس أبداً.

يالك من معلم نبيل أيها الضخم ! لو أنك ضربتني أو وبّختني أو صرخت في وجهي أمام هؤلاء الأطفال لكنتُ كرهتُ المدرسة وتركتها إلى الأبد، ولكانت مسيرة حياتي ،كلّها، قد تغيّرت . كم كان القدر طيباً معي عندما بعث لي الله معلّماً نبيلاً مثلك ..كم كان القدر طيّبا معي !

ـ من وحي مذكرات المرحوم الدكتور المهندس عطاالله يوسف أبو سيف .

خناقة شامية

كان يوماً مرهِقاً جدّاً أمضاه السيد "أبومسعود" في مقرّ عمله في مخفر شرطة باب مصلّى في مدينة دمشق الزاهرة . وما إن نزل إلى القبو الذي يسكنه في شارع المجتهد وبدأ بخلع سترة العمل حتى سمع صوتاً يصرخ ويولول في مدخل القبو. كانت "إم شهاب" المرأة السليطة اللسان قد عادت الى بيتها توّاً من سوق الحميدية لتجد ابنها اليافع يبكي بحرقة وقد ضربه مسعود ابن أبي مسعود الذي يسكن في القبو المجاور لبيتها وهم يلعبون لعبة "التخباية" في مدخل الحارة .

جنّ جنون "إم شهاب" وهجمت على القبو غاضبة عندما رأت ابنها يبكي بشدّة :

(إنتو ياعالم ..يا نوَر..

يا حَوَش...ياللّي ساكنين تحت ..)

لم يكمل "أبو مسعود" خلع أكمام سترته ، بل اتجه نحو مصدر الصوت ، ناسياً ما تبقّى من السترة التي كشفت عن قميص قطن داخلي أبيض ظهر من خلاله جسم أبي مسعود الرياضيّ الضخم الذي يليق بشرطيٍّ محترم قويّ البنية يعمل في باب مصلّى حيث تكثر المناوشات والمشاكل .

نظر إلى المرأة التي تابعت المسبّات والشتائم من كل نوع ، نظر إليها بكلّ احترام و ردّ عليها بصوت منخفض :

(تفضّلي.. تفضلي يا أختي ..خير..خير انشالله !).

قدَحتْ عينا أم شهاب بالشرر من جديد وقالت : (إنتي أبوه للئرد هذا يلّي ضرب إبني . شو إنّو ولد بلا تربية. العين تطرؤا نشالله).

أَبَتْ أخلاق أبي مسعود العربية أن يردَّ على الشتائم بوجه إمراة مهما كان السبب وردّ عليها بكلّ هدوء :

(له .. له.. يا أختي ... بترجّاكي عن هالحكي ... إخزي الشيطان وما بيصير غير على خاطرك بإذن الله).

اجتاحت إم شهاب موجة غضب جديدة وأردفت قائلة : (حميّ تسلؤو .تضربوا على هيك تربية. أما إنكن عالم حوَش).

لم يعد بإمكان أبومسعود الصبر أكثر والتحلي بالحكمة إذ عندما قالت له إم شهاب .."تضرب على هيك تربية وإنتو عالم حوَش".استشاط غضباً وصعد الدم إلى رأسه وصاح في وجهها : (وأنا أخو سميّة ! .... بدّك تسكتي ياحُرمي ولا لأ ؟ آ..أومي(قومي) نقبري من هون قبل مايطلع خلقي عليكي هَهْ ! تألّعي وانضبّي أحسن ما أحسب ربّي ما خلقك !) .

ارتعبت "إم شهاب" من أبي مسعود و((أُسقط في يدها)) بعد أن رأته يزأر كالأسد الهائج، و(بخفيّة الكرعوب) استدارت بظهرها وأمسكت بيد ابنها وأسرعت باتجاه بيتها بعد أن رأت عين أبي مسعود قد احمرّت عليها. ثم ركضت واختفت بين الحارات الضيّقة وهي تتمتم :(وليبي على آاامتي..لك شو هاد ..شو هاد...وليبي...وليبي...شو هالورطة هاد...يالطيف..يالطيف !)

ثم وَلّتْ هاربة .

عاد أبو مسعود إلى القبو ليكمل خلع ثيابه مخاطباً نفسه بالقول: (ياحيف ياباطل يابو مسعود. إنت هلّي كل أهل المقرن بتخاف منك وبتحسبلك ألف حساب، شرشحتك قطشة مرا . ياحيف عالمناصب ياحيف ! والله وتبدهلت يابو مسعود بتالي زمانك ..تبهدلتْ !).

□

بـــ ليرة ... بَسْ

عندما كانت الليرة السورية بتفلح وكان يعتبر ثرياً من يستطيع أن يعطي ابنه ليرةً سورية واحدة مصروفاً لكلّ الشهر ...(و بعض الطلاب ما ياخذ مصروف بالمرّة لأنّو كان يجيب زهاب[1] معه من ضيعته) والنقود كانت قليلة جداً بأيدي الناس والفقر شديد . في ذاك الزمان، عندما أتينا من القرية إلى المدينة لتلقّي العلم وكنّا مانزال أطفالاً، كنّا نشتهي أن نشتري قطعة هريسي أو شحفة حلاوة من عند عمي "أبو الخير"، وبعد أن نجمع ماتيسّر من الفرنكات من هنا وهناك ،يمكن بعد شهر كامل من التوفير... كنا (نروح ركاض عالدّكاني) وكلنا أمل أن نشتري الحلوى.

وإذ كنّا ندخل من باب الدكان ملهوفين نبادر بالسؤال المعهود: (عمي بو الخير..بقديش حق شحفة[2] الحلاوة؟؟)

يردّ العم بوالخير بصوت ناعم جداً وحنون ويقول:

(شحفة الحلاوة ياعمّي ..بـ ليرة.. بَسْ[1] !") .كان يخفّف صوته وينعّمهُ ويزيده حناناً ورقّة عند لفظه كلمة " بَسْ"، على

---

[1] زْهاب: مونة من الطعام لمدة أسبوع أو أكثر .

[2] شحفة : قطعة .

أمل أنها ستخفّف من وقع غلاء قطعة الحلاوة على أسماعنا. من أين سنأتي بالليرة(ياذلّي) ؟
عندها نخرج من الدكان نجرّ أذيال الخيبة ونعود أدراجنا إلى غرفتنا المستأجَرَة مكسوري الخاطر ،لأنّ كلّ ماجمعناه خلال شهر كان لا يتعدّى بضعة فرنكات..(بَس) .
فلا نحن أكلنا الحلاوة ولا عمّنا "أبو الخير" رخّصْ شحفة الحلاوة وبقي سعرها على ماهو عليه ولم يتغير شيء إلا صوت عمي أبو الخير الذي أصبح مبحوحاً وفقد نعومته من كثرة ماكان يردد عبارة : "بـ ليرة ... بَسْ" .

من حكايا الفقراء

" اسمع كلامي ياديك .... وإن كان المولى بيهديك .
لاتطلعش عالمعلف[٢] .
بضربك ضربي بْعميكْ !
كانت العمّة " إم فوّاز" كلّما أرادت أن تُطعِمْ أولادها اللّحم تذهب الى كرم العنب المحاذي للقِنّ حيث كانت الدجاجات

---

[١] بَسْ : فقط
[٢] المعلف : مكان لوضع العلف للحيوانات .

تسرح وتبحث عن طعامها مع مجموعة من الديَكة الحمراء المُذهّبة السمينة،، تلتقط (جمشي)[1] كبيرة الحجم وتعيّنْ عن أكبر ديك سمين وتقذفه بها بقوّة ودقّة متناهية فترديه قتيلاً من أوّل محاولة. عندها تسارع لذبحه وطبخه بحجّة أنّه (وقع ما بعينو ولا بلّي[2]، ومدري شو إجاه بساعة الساعة!).. وتقول للعائلة في كل مرة :

"لولا مالحقُتو لحوق كان راح الديك بو عرف أحمر من بين دينا.. يمكن خَلَصْ عمرو.

"تعالوا كلو يا ولاد ..تعالوا يَميّ[3]..الله طعمك..كول وطعام ".

أنا صامـد

عندما ضربت الطائرات الصهيونيّة الغاشمة حرش السهوة القريب جدّاً من قرية الكفر ـ قريتي ـ بحجّة القضاء على المقاومة الفلسطينية الممثّلة بالفدائيين إبّان تلك المرحلة، حيث كان الشعور القوميّ والوطنيّ وشعار المقاومة في أوْجِهِ

---

[1] جَمَشي : حجر صغير كان يستعمل في القتال قديماً .

[2] وقع ما بعينو ولا بلّي : مات على الفور.

[3] يَمّي : يا أمي.

وكانت القضيّة الفلسطينيّة قضية كلّ مواطن عربي..كنت قد تخرّجت توّاً من الجامعة عام ١٩٧٣.

لم يكن لنا عهد بقصف القنابل والطائرات وصوتها المرعب، إذ عشنا حتى تلك اللحظة بين دوالي العنب وأشجار السنديان وبساتين المزروعات الصيفية وصوت البلابل والعصافير وخرير سواقي عين موسى وعين العليقة .

كان صوت الانفجارات قويّاً جداً يصمُ الآذان ومفاجئاً جدّا حتى خُيّلَ إليّ أن القريةَ قد دُمِّرت على رؤوس أصحابها .

أصابتني الصدمة ولم أملك الكثير من الوقت للتفكير إذ انتابني إحساس أنّ الدار سوف تتهدّم فوق رؤوسنا.

هممتُ بالهروب بأقصى سرعة، فلم أجد سوى "الخابية" الموضوعة تحت الدرج. قلت: يابنت انزلي إلى "الخابية" واختبئي بها..هنا لن يصيبك قصف الطائرات.

في هذه اللحظة لم أحزن على نفسي بقدر ماحزنت على تعبي طيلة أربع سنوات للحصول على الشهادة الجامعية. وبينما أنا في لُجّة أفكاري هذه إذ بي أرى أمي تُسرع الخطا وخلفها أخوتي باتجاه الطريق للهروب من الدار خوفاً من قصف

الطائرات . عَدلتُ عن فكرة النزول إلى "الخابية"[1] وأسلمتُ ساقيّ للريح ولم أكذّب خبراً ولحقت بأمي وإخوتي للهروب من البيت..وعندما أصبحتُ تحت شباك الغرفة الشرقية من بيتنا المحاذية للطريق سمعت صوتاً قوياً يغنّي داخل الغرفة .. ذُهلت .. قلت هل هو صوت مذياع يبث أغاني وطنية لمارسيل خليفة أم ماذا؟ وبينما أنا في هذا الذهول فتحت أختي إنصاف النافذة وغنّت بأعلى صوتها:

...أنا صامد صامد ...أنا صامد...

يالشجاعتها!

هربنا جميعاً إلى دار خالي لانلوي على شيء نجري خلف أمّي نسابق الريح وبقيت أختي أنصاف وحيدة في البيت صامدة مع حياة المرحوم والدي.

ومازلنا نردّد كلّما اجتمعنا مع أختي أنصاف: أنا صامد صامد..أنا صامد.

تذكّرت هذا الحدث اليوم وقلت في نفسي إن كان صوت القصف قد فعل مافعل وأثار ما أثارَ من رعب فما بالنا بالحروب الكبرى وماتحدثه من دمار شامل وخوف بين

[1] الخابية: وعاء مصنوع من الطين المَشوي أو الفخار لحفظ المياه وتبريدها قبل وجود البرّادات.

البشر المسالمين. متى سيَفهم البشر أنّ لغة الحرب والدمار ليست هي الوسيلة الأمثل لحلّ النزاعات والمسائل المستعصية بينهم ؟

أوراق عتيقة

بكيتُ بمرارة وأنا الطفلة ذات الأربع سنوات حتى سمحت لي أمي أن أحمل أخي الرضيع عبدالمطلب على أكتافي ونحن ننقل أغراض بيتنا القديم إلى مسكننا الجديد شمال القرية. كان علينا أن ننقلها على أكتافنا لعدم وجود أي واسطة نقل في ذلك الزمن ماعدا الحمير والبغال .

كان بيت والدي المرحوم يوسف أبوسيف أول بيت بُني من الإسمنت في قرية الكفر حيث سكنّاه عام ١٩٥٦ وكان حينها يسمى "إسمنت دَكّ" ويصنع من الاسمنت المسلح وبقايا الحجارة المكسرة التي تسمى " شَحِفْ" مع وجود قالب من الخشب للجدران،كما استعملت حصيرة من الحديد للسقف. كان يتألف من طابقين ،أرضي وعلوي ،والطابق العلوي كان يتألّف من صالون وغرفة نوم وغرفة قعدة وومطبخ وحمّام. أما الطابق السفلي فكان يتألّف من غرفتين ، مستودع وبيت للعيلة ومطبخ، وقد كان للبيت تمديدات

صحيّة مازالت تعمل حتى اليوم، تُغذّى بمياه نقية من برميلين وضعناهما على السطح وطليناهم باللون الأحمر منعا للصدأ. كان الناس يتساءلون ما الهدف من وضع هذين البرميلين على السطح العلوي .

تم إنشاء هذا البيت من قبل المرحوم أبو نبيل يوسف الفقيه اللبناني الأصل وقد طبقتْ شهرته البلاد في مجال التصميم والبناء بسبب عدم وجود مهندسين في تلك الآونة. لم يحتوِ البناء على مضافة على أساس أننا دخلنا في عصر المدنيّة. لكنّ الأيّام أثبتتْ لوالدي ولنا جميعاً أن المضافة هي أهمّ ركن في بناء بيوت جبل العرب ولايمكن الاستغناء عنها مطلقاً. لذلك قام والدي بعد فترة قصيرة من الوقت ببناء مضافة ملحقة بالبناء الأصلي وهي مازالت قائمة إلى الآن ، تُطلّ على جبل القليب الشامخ وحرش الكفر العريق اللذين كانا شاهدين على معركة الكفر الشهيرة ضد فرنسا الاستعمارية في ٢١ تموز ١٩٢٥.

حِمار العمّ معذى

في إحدى ليالي كانون الأول(الأجرد) الجافّة والشديدةالبرودة

قالت إم ذوقان لزوجها : مارأيك أن نذهب إلى زيارة صديقنا الأعزب"مسعود" حتى نسلّيه قليلا في وحشته (خطيّ لاعندو مرا ولا تعثير) . رد أبو ذوقان : وليكن ذلك يا (مَرا) . لعلّنا نجد عنده بعض الدفء والراحة ، ونطمئن على صحته وأحواله.

ارتدى أبو ذوقان وأم ذوقان ما تيسّر لهما من الألبسة الصوفيّة الثقيلة وأغطية الرأس ولبسا الأحذية الجلدية السميكة وتوجّها إلى بيت "مسعود" .

بعد أن دقّ أبوذوقان عدّة دقّات على الباب ، أسرع مسعود لفتحه. وإذ رآهما سُرَّ كثيرا واستقبلهما استقبالاً حاراً ورحّب بهما أفضل ترحيب. وبعد أن جلسوا جميعاً على فرش الإسفنج وشربوا القهوة المرة الساخنة (وهَبّبْ ريحهُن)، جلب مسعود لهما الكعك والشاي الساخن والمكسّرات، وبدؤوا يتجاذبون أطراف الحديث. سرقهم الوقت بسرعة ونسوا أنفسهم بسبب الدفء اللّذيذ المنبعث من مدفاة

الحطب القديمة ورائحة (طنجرة السليقة) الموضوعة على الببّور ، ولم ينتبهوا أن الساعة قاربت منتصف الليل.
وبينما كانوا يتحدّثون عن أحوال هذه الدنيا ومشاغلها إذ بشخص يدق على الباب بقوّة.
نهض مسعود ليفتح الباب مستغرباً من يكون هذا الطارق في هذه الليلة الشديدة البرودة وفي هذه الساعة المتأخّرة من الليل. فتح الباب ومدّ رأسه قليلاً باتّجاه الخارج وقال بعد أن عرف الطارق : (تفضّل ،تفضّل عمّي معذّى. خير انشالله.خير انشالله. كفى الله شرّك!) .
كان العم معذّى ملتحفاً بغطاء للرأس أبيض اللون ومرتدياً (شروالاً أسود) وفوقه (قنشيّة) مقبّبة بالصوف لِتقيَه البرد الشديد،ووضُح من صوته المتقطع أنه كان مضطرباً وبدتْ عليه اللهفة وشغلة البال .
قال العم معذّى: لقد أضعت حماري منذ أربع ساعات وبحثت عنه في كلّ مكان ولم أجده، وقد أضناني البحث .
(بحياتك عمي مسعود .بدي إسألك : إجا هالحمار لعندك شي؟).
لم يجبهُ مسعود على سؤاله، بل تأنّى قليلاً وأدار رأسه باتجاه الداخل نحو أبي ذوقان وإم ذوقان مباشرة وكأنّه

يبحث عن حمار العم معذّى داخل الغرفة . نظر إلى إم ذوقان مليّاً ، ثم تمقّل في وجه أبي ذوقان وجال بنظره في كل أرجاء الغرفة ، وقال موجِّهاً كلامه للعم معذّى بعد أن تأكّد أنه لا يوجد أي حمار داخل الغرفة : (لأ ، حمارك ما إجاش لعندي ياعمّي معذى..من غير شر !).

نهاية امرأة غير شجاعة

تزوّجتْ قسراً
أنجبتِ البنين والبنات
ظلمها زوجها العربيد
الأهل من ورائها والمجتمع من أمامها...أين المفرّ..
لن يقبلوا بها لو طلبت الطلاق .
تحمّلت، صبرت، كبر الأولاد، تخرّجوا من الجامعات، تزوّجوا وأنجبوا الأحفاد.
أصاب الشلل العربيد.
اعتنت به حتى أخذ الله أمانته.
أصابها الديسك والسكري والضغط.
رفض رعايتها الأولادُ والبنات.
احتضنتها دارٌ للمسنين .
شيّعتها الملائكة وروح حارس في يوم الرحيل..

نحن والخطوط

نحن اليوم تحت خطّ الخبز
تحت خطّ المحروقات
تحت خطّ الرواتب
تحت خطّ الفيروسات
تحت خطّ الحَرّ
وتحت خطّ الحياة ...

عسكر إم دقن

من الأساليب التي كانت متّبعة في الماضي لترهيب الفتاة وإبعادها عن التعليم والمدرسة أن البعض وليسوا من القلائل كانوا يقولون لنا عندما كنا نرتدي بدلة الفتوة العسكرية أو بدلة الكشّاف (الخاكي) ..كانوا يقولون إنّه في نهاية الزمان والدهر والأوان سيظهر جيش تقوده الفتيات وإسمه " عسكر إم دقن " . واعلموا أيها الناس أنّكم إن رأيتم هذا الجيش فهذا يعني أن القيامة أصبحت على الأبواب فانتبهوا يا أولي الألباب ! ...

الخوف قطّاع العَصبْ

بعد أن فشلت كلّ الوسائل لردع "ذيبي" عن التعدّي على جارها السيد محمود، بدءاً من رمي القمامة أمام بيته وجرف الثلج على أرض داره في عِزّ الشتاء (وزيح الحد عليه في الكرم) عندما كانت تقوم بأعمال (العزالي والفلاحة) ، من دون أن تقيم وزناً لمكانته الاجتماعية العالية في بلدة "الضبعة" ، قرر أن يُقدّم فيها (مزبطة) لدائرة الشرطة في المدينة التي تتبع لها القرية .

أسرعت الشرطة لأخذ أقوال جيران "ذيبي" للتأكّد من صحة (هذه المزبطة) وصحة تكرار اعتداءاتها على جارها "محمود" وتصرّفاتها غير المقبولة تِجاهه ، حتى يتمّ ردعها عن ذلك ولو بالقوّة .

كانت أوّل محطّة للدَرك في بيت أقرب جارة للمذكورة "ذيبي" بيت العمّة "إم حسين" الذي لم يكن يفصله عن بيت ذيبي والسيد محمود سوى الحائط الحجري الذي لايتعدّى ارتفاعه النصف متر والذي كانت تستطيع "ذيبي" أن تجتازه من خلال (طُرعة) سـوّتها إلى الأرض بيـديها من أجـل عمل الصبحيات على "كاسة متي" سواء عندها أو أو عند جارتها

العمة "إم حسين" . كان هذا البرنامج يتكرّر يوميّاً كفرض الصلاة .

عندما رأت العمة "إم حسين" سيارة الشرطة تتوقّف أمام (الطرعة)[1]، أسرعت للاختباء داخل البيت والابتعاد عن عيون الدَرك لكنّها نسيتْ أن تغلق الباب خلفها .

نادى الشرطي بأعلى صوته عدة مرات على أصحاب البيت ، أسرع الطفل الصغير "عفيف " ليرى من المنادي .

قال الشرطيّ للصبيّ :أين أهلك ياولد ؟ قال الولد : أمي هنا سأناديها على الفور . وذهب الولد ليخبر أمّه أنّ الشرطة تطلبها .

خافت العمة "إم حسين" من الدَرك خوفاً شديداً وأدركت أنه لم يعد بإمكانها تظليلهم والاختفاء عن أعينهم بعد أن اخبرهم "عفيف " أنها موجودة داخل البيت .

خرجت "إم حسين" ترتجف وبدأت دقات قلبها بالنبض المتقطّع عندما بادرها الدركي بالسؤال :

(ياخالتي ! الحق على "ذيبي" ولا على "محمود" ؟) على اعتبار أنها جارة قريبة جداً منهما وتعرف كل أسرارهما .

---

[1] الطُرعة : فتحة في جدار تتسع لعبور شخص واحد فقط .

ردّت العمّة "إم حسين" بعد أن تلثّمت بفوطتها حتى كادت أن تُخفي عينيها :

(ياحضرة الضابط ..أني لابعرف "ذيبي" ولابعرف "محمود" ، ولا بعمرني سمعت بأسامين أو شفت وجوهن ! مين "ذيبي "، ومين "محمود " .. ياحضرة الضابط ؟). وأسرعت بالاختباء في بيتها من جديد .

تعجب الدّركي من هذا الردّ الذي لم يكن يتوقّعه وبناءً عليه ألغيت "المزبطة" التي قدّمها السيد "محمود" بحقّ جارته "ذيبي" وعاد الدرك أدراجهم إلى المدينة خائبين ولم يستطع السيد "محمود" أخذ (لا حق ولا باطل من جارته "ذيبي" ، ورجعت حليمي لعادتها القديمي) . وكان أول عمل لها بعد إلغاء (المزبطة) أنها قامت (بكعكرة الحيط) الذي يفصل بين بيتها وبيت السيد محمود ورمي(قفّي) مليئة بالرماد المتبقي من (الموقدي) الموجودة في أرض دارها . وهكذا نجحت ذيبي بذَرّ الرماد أخيرا في عيون الدرَك وعيون جارها السيد محمود إلى الأبد .

كِلّن يعــني كِلّن
مدلّلي وإم ذوقان

إم ذوقان : (ولوو مدلّلي شو رايك تترشّحي لمجْلِس الشعب برُخص هالإنتخابات ؟ عبيقولوا بدّن ينجحهون كلّن منشان (معكرونا)؟

مدلّلي : (كِلّنْ يعني كِلّنْ ؟ إنتي متأكّدي من هالحكي يختي إم ذوقان؟ ويلا وإنتي قلتي. شو هلّي عبيترشحوا أحسن مني يعني؟ بعدين لازم يكون في مرَا بتمثّل نسوان ضيعتنا..ماهو المرا والزلي صاروا متساويين بكل شي، أبيفرقوش عن بعضهن غير بغرفة المقاطيع .

زلّـــة لسان

كان على منسق الاحتفال المخصّص لاستقبال سيادة الوزير، أن يُلقي كلمة أمام الجماهير المحتشدة في الساحة العامة ، وكما هي العادة كان عليه أن يبدأ كلمته العصماء ببيت من الشعر يليق بالمناسبة، ولكونه كان يكره الشعر منذ صغره ويجد صعوبة بالغة في حفظ بيت واحد مهما كان سهلاً، قام باستظهار البيت في الليل وتكراره عدّة مرّات وتأكّد من حفظه تماماً.

بدأ الاحتفال ودقّت ساعة الصفر وجاء الوزير وحاشيته وتصدّروا المشهد . زاغ بصر مُنسّق الاحتفال واختلطت أفكاره وتسارعت دقات قلبه وعلا صوته بهذا البيت :

أمة العرب تموتي ،،،(يا قولتي..) لن تموتي .

وإنّي أتحدّاك باسمها يا فناء .

ردّ الوزير بصوته الجهوري : "صَفّقوا له " ! صفّقوا له !

نهلة الدمشقية

الآنسة نهلة الدمشقيّة ، لا أعرف كنيتها . لكنني لن أنساها أو أنسى جمالها الأخّاذ، شقراء، لها جديلتان طويلتان تتدليان إلى ماتحت خصرها بقليل ، متوسّطة الطول ، لاهي سمينة ولانحيلة ، ممشوقة القدّ تتمايل كعود ريحان .

كانت ترتدي)الإشاربات) البديعة الألوان التي ربما اشترتها من سوق الحميدية الشهير وتنمّ عن ذوق شاميٍّ رفيع وأناقة باذخة. كانت تبدُلها كل يوم وكنّا نبتهج لذلك. ثيابها متناسقة الألوان وكأنها قد رُسمت بريشة فنان .

كانت معلمتي في الصفّ الأوّل .

نهلة الدمشقيّة شديدة اللطف والذوق، وكانت لهجتها الشاميّة محبّبة إلى قلوب أطفالٍ في عمر خمس السنوات .

كانت تسكن في بيت مستأجر في ساحة القرية . كم كنا ننتظر زيارتها في غرفتها بفارغ الصبر لكي نأخذ لها البيض والعنب والزبيب والدبس وخبز الصاج بسبب عدم وجود دكاكين في ذلك الوقت إلا ما ندر. كان ذلك عام ١٩٥٧ .

كنت طالبة مستمعة وعمري خمس سنوات ليس غير. كنت أحفظ دروس القراءة عن غيب . كم كنت أعشق درس "

الأرانب تستعدّ للحرب " . كنت أكرّر هذا الدرس وأنا نائمة وحلمت بأرنبٍ جميلٍ لايحمل سلاحاً على كتفه بل يحمل باقة ورد يقدمها لرفيقه .

في نهاية العام وزّعت علينا الآنسة نهلة الجلاءات . كان أوّل اسم هو للطالبة "منوة حديفة" . صفّق الجميع لها وباركوا . ثم تلاها اسمي . بدأت اسمع من يقول : منوة الأولى وسلوى الثانية على الصفّ . بكيتُ بكاءً مريراً وذهبت إلى بيتي أجرّ أذيال الخيبة واليأس وبقيتُ طيلة النهار أندب حظّي العاثر.

لا أدري كيف عرفتْ معلمتي أنني بكيت طيلة نهار ذلك اليوم. انتظرتْ حتى اليوم التالي وقبل أن تحزم أمتعتها وتغادر القرية إلى دمشق لقضاء العطلة الصيفية ، إذ بها تطرق بابنا وتستأذن بالدخول بعد أن قطعتْ تلك الطريق الترابيّة الطويلة الوعرة التي كانت تحيط بها أشجار البلوط والزعرور والعلّيق والبطم الذي أوصلها إلى بيتنا . فتحتْ لها أمي الباب واستقبلتها بالأحضان .كنت ما أزال أبكي بمرارة .

أسرعت معلمتي وضمّتني إلى صدرها ووضعت قبلة على خدي ومسحت دموعي بيديها الناعمتين وقالت بلهجة شاميّة رقيقة : أنت الأولى ياسلوى وليست "منوة حديفة " كما خُيّل لك . لكنني رأيتها تغمز أمي وتعضّ على شفتيها بضحكة

حاولتْ إخفاءها ،وحتى هذه اللحظة ما زلتُ أشكُّ أن أكون أنا الأولى في الصف وليست زميلتي الصغيرة" منوة " . وكنت مقتنعة أنّ معلمتي في الصف الأول كانت تجاملني لأنّها لم تستطع تحمّل رؤية طفلة تبكي بمرارة لأنّها لم تحصل على المرتبة الأولى في نهاية العام الدراسي .

ذيبي

كانت "ذيبي " امرأة شديدة البأس . نموذج نادر بين النساء . كان رجال القرية يدارونها ويتجنّبون الشجار معها قدر الإمكان . كانت هي من تحرث الأرض وتعمّر الحيطان وتجلب الحطب و(البرباص) من الحرش وتقوم بكل شؤون البيت . لم يكن الرجال يتجنّبونها فحسب بل أنّ نساء القرية أيضا كانوا يتركون مسافة أمان بينهنّ وبينها حتى لاتحدث مشاكل ومشاجرات هنّ بغنى عنها. إلا الست "إم حسين" فقد كانت على علاقة طيبة مع "ذيبي "، تزورها وذيبي تردّ لها الزيارات وتشرب عندها المتّي كلّما وجدتْ نفسها في حِلٍّ من العمل . ولاعجب في ذلك ، إذ أن العمّة إم حسين كانت تحبّ جميع الناس دون استثناء ولو دعستْ على النملة فلن تؤذيها . لم يشتكِ منها أحد، لا نساء ولا رجال، لذلك كانت "ذيبي" تختارها من بينهم جميعاً لتفضفض وتبثّ لها همومها .

رغم مداراة رجال القرية لها إلا أنّ جارها (الحيط بالحيط) العم أبوصابر المحترم لم يسلم من مشاكساتها . وأكثر ماكان يزعجه منها أنها كانت تقحط الثلج من على سطح بيتها وترميه على أرض داره لدرجة أن باب المضافة قد انسدّ

بالكامل أمام أهل البيت والزوّار ممّا حدا به في أحد أيام كانون الباردة ، وبعد أن نفد صبره ، أن يعترض على تصرّفها بكلّ تهذيب منادياً عليها من أرض الدار وهي منهمكة بجرف الثلج والعرق يتصبّب منها : (يا جارتنا ! ون ذكرتي الله! شو هالعمل هذا؟ دملتينا بالثلج دمل. خفّي علينا شوي ..بالله عليكي).

توقّفت " ذيبي " عن جرف الثلج وعقدتْ شكلتها وتخصّرت ، ثم نظرتْ إلى أبي صابر من تحت فوطتها وقالت : (حِل عنّا يوو...إسّا أوانك ؟!) .

صُدم العم أبوصابر بهكذا جواب وقال بصوت بالكاد سمعته "ذيبي": (يووو....يووووو...أني مافيّ ليكي ياذيبي ! مافي ليكي "

ودخل إلى البيت غاضباً وجلس يرتشف القهوة المُرّة بجانب (ببّور) الحطب متفكّرا كيف بإمكانه أن يجعل هذه المرأة تتوقّف عن مضايقتهم وإيذائهم، وتذكّر كيف وجدها إحدى المرّات وقد (زاحتْ الحدّ عليه) في الكرم الغربي. وافتعلت معركة كلاميّة بينهما أثارتْ حفيظته وحلَفَ وقتها أن (يقطع محكاها) ، لكنّ الله أوصى بالجار قبل الدار.

تابعتْ " ذيبي " عملها الشاق. هنا، سمع العم أبو صابر صوت سقوط كتلة كبيرة من الثلج ترتطم بأرض الدار من جديد ، وفهم منها أن" ذيبي" لن ترتدع و(تكفّ بلاها عنّو) . لكنّه سيحاول مرّة أخرى لعلّ وعسى أن تتوقف عن هذا العمل المستفزّ.

أخذ (بو صابر) دلّة القهوة الساخنة وذهب إلى الجهة الثانية من بيت "ذيبي" حيث أصبحت الثلوج على الطريق على مستوى السطح تماماً. نادى عليها بصوته الوقور .كان جرف الثلج قد أنهكها،وصبّ لها فنجانَ قهوة مُرّة ودعاها لتتناوله.

كانت فرصة لها لترتاح قليلا من العمل . رشفت "ذيبي" القهوة وطلبت منه أن يصبّ لها فنجاناً آخر ، ففعل . شربته على عجل وقالت : (قهوتك اليوم يابو صابر مسرْبي وما لا فكاهة وبدها تغيير) ، وناولته الفنجان الفارغ ، ثم عادت إلى جرف الثلج مجدّداً .

نزل أبو صابر إلى بيته ودخل إلى غرفة العائلة خائباً بعد أن سدّت عليه "ذيبي " كل المنافذ للتقرّب والمصالحة .

عندي دوا للذكا ومعبّا بزروف
وهلي بياخذ منو بيصير فيلسوف

عُرف عن أم سليم حرصها الشديد على كلّ شيء مهما كان تافهاً . كلّ شيء له قيمة ولا يمكن أن ترميه في القمامة .
لذلك قامتْ بصنع وجوه (للطراريح) والمخدّات من بقايا تنّورتها المخمل القديمة، ومن صناديق الكرتون الفارغة عملت أماكن (لقطرميزات) اللبن، المكدوس،السمن،والزيتون أمّا الجرائد والمجلّات فقد أصبحت أغطية لغلقات المطبخ . وكركرتْ الكنزات الصوفية المهترئة وشدّت منها فُرش ولُحف، وقصّت الكندرة الزحف من الخلف فأصبحت شحاطة .
أما دبوس الشعر فهي مازالت تعقص به شعرها منذ عشرين سنة ونيّف. وبلورة الكاز مازالت تنظفها وتلمعها كل مساء وهي تضيء بشكل جيد منذ عدة سنوات .
أما بالنسبة للأطعمة المتبقية، فقد صنعتْ من بقايا المجدرة أكلة جديدة تدعى الكشكية[1]. وصنعتْ من بقايا طبيخ المنسف مادة الكشك أكلَتِها الشتوية المفضّلة . ومن فتافيت الخبز طبخت البومليح والصّخينة .

[1] الكشكية ، الصخيني ، الكشك ، البومليح ...أكلات شعبية معروفة في جبل العرب

أمّا ريش البرغل فقد حشتْ به الوسائد ومخد الصوف .
وكم كان يتردّد في أوساط القرية أن السيدة أم سليم(مرت الفقير وبدار كل عاوز).
وقد تفتّقت مواهبها بإعادة تدوير الأشياء والانتفاع بها أن تجمع ماتبقى من كبسولات الدواء أو شراب القحة أو التحاميل المنتهية مدّتها وتضعها في كيس تدحشه في عبّها وتبيعه لصديقاتها النساء العجائز في المجلس .
قالت لها إم شاهين :(دخلك يا إم سليم عندك شي دوا لوجع الركاكيب ووجع القلب. حاسي إنو ظهري مقطوع وعبدبدب دبدبي ونفَسي مقطوع وعَرَقي مَرَقي وهالنشبي قاضبتلي نَفَسي من مبارح الله وكيلك ؟)
إم سليم : (دواكي عندي يختي إم شاهين). وناولتها كمشة من كبسولات وحبوب متنوعة مع قنينة شراب وقالت:
(خذي الليلة هالدوا ونشالله الصبح بتصبحي طيبي ومافيكيش شي)
في الصباح الباكر (وَشّ) ميكرفون القرية (وشتين تلاتي) ليتّضح الصوت بنعوة مفاجئة :
انتقلت إلى رحمته تعالى إم شاهين أرملة السيد أبو شاهين إثر إصابتها بسكتةٍ قلبيّة مفاجئة ..وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

من أساطير الشعوب

يُحكى أنّ امراةً كانت تخبز العجين بينما كان طفلها الرضيع يزغلل ويرفس بقدميه ويحرّك يديه ويقهقه فرِحاً بوجوده جنب أمّه في بيت الخبز الدافئ هذا الذي تفوح منه رائحة العيش[1] اللذيذ .

لم تكن الأم أقلَّ سعادة بوجود طفلها قريباً منها، ترقبه بين الفينة والأخرى لتطمئنَّ عليه .

بعد حينٍ من الوقت صرخ الطفل وبدأ بالإقياء الشديد حتى كاد أن يختنق وتبلّل جسمه من رأسه حتى قدميه بالمُفرزات الكريهة الرائحة، فأسرعت الأم لتبدّل ثيابه الوسخة .

لم تجد شيئا قريباً منها، لتنظيف الرضيع، ممّا حدا بها أن تسحب رغيف الخبز الممدود على الصاج وتتركه ليبرد قليلاً وتنظف به رضيعها .

لم تكمل الأم إتمام عملية التنظيف وتعيد طفلها الى مكانه حتى وجدت نفسها وقد تحوّلت إلى سلحفاة سوداء بشعة تغطي جسمها التجاعيد والبثور وقوقعة كبيرة من العظم

---

[1] العيش : الخبز

مدوّرة على شكل صاج الخبز مثبّتة بشكل محكم لايمكن الخلاص منها أبداً .
بكَتِ السلحفاة وندبت حظّها العاثر وعاشت بقيّة حياتها تتضرّع إلى الله أن يعيدها إلى فصيلة البشر لعلّها تكفّر عن ذنبها العظيم الذي اقترفته بحقّ رغيف الخبز.

سخرية القدر

ذهب "صالح" مع من ذهب إلى حروبٍ لا ناقةَ له فيها ولا جمل. "صالح" ذلك الشابّ الأسمر الرشيق الشجاع، المفتول الذراعين والشديد البأس لم يُخلق ليحارب على أرض ليست أرضه وضدّ أناس ليسوا أعداءه . لكنه ، هو الاستعمار الذي يدفع بالأبرياء إلى أقدار ليست أقدارهم .
وجد "صالح" نفسه على حين غِرّة يُقاتل في فيتنام ذلك البلد المسالم المعتدى عليه. لكنّه وبعد معركة "ديان بيان فو" الشهيرة ، قرّر أن يُلقي سلاحه مع من ألقوا أسلحتهم ، ليس استسلاماً بل لقناعته أنّه لا يحارب عدوّاً له ، بل من يحارب في صفوفهم هم أعداؤه الألِدّاء .
هُزمت فرنسا في تلك الحرب وانتصرت إرادة الفيتناميين .

ذهب "صالح" تاركـاً خلفه عار المحتلّين ومكلَّلاً بفرحة المنتصرين على المستعمرين الأشرار .

حطّ الرّحال في الهند المجاورة ومن بعدها عاد مجدّداً إلى فرنسا للعيش مع زوجته الفرنسية في مدينة "نيس" على ساحل المتوسط . في تلك المدينة الجميلة اشتهر "صالح"بين الفرنسيين كسبّاح لايُشقّ له غبار ، حيث استطاع أن يفوز فوزاً ساحقاً في مسابقةٍ دوليّةٍ لقطع بحر المانش سباحة بدون انقطاع بين فرنسا وانكلترا .

رغم عيشته الرغيدة في فرنسا وتفوّقه الرياضيّ لم ينسَ يوماً أيّام كان طفلا عندما كان يتفوّق على أقرانه في السباحة في بركة القرية (المطخ)الصغيرة التي طالما سبح فيها . كان حلم العودة إلى مسقط الرأس يقضُّ مضجعه ولم يتركه لشأنه بل قرّر ذات يوم العودة إلى بلده مهما كلّفه الأمر.

كانت ضريبة هذا القرار ترك زوجته الفرنسيّة له وبقاءَها في فرنسا ، والعودة للعيش فيما تبقّى له من العمر في قريته الصغيرة وحيداً .

استقرّت به الأمور من جديد بين أهل قريته لكنّ هواية السباحة ظلّتْ هاجسه .

في إحدى أيام الصيف القائظ قرّر مع مجموعةٍ من أصدقائه الذهاب في نزهة إلى السدّ المجاور للقرية .
يالفرحته العارمة! اقترب من المياه الضحلة و(شكّ شكّةَ) محترف ذكّرتْهُ بالمسابقات الدوليّة للسباحة في فرنسا وضحك بشدّة لهول المفارقة .
وما إن غطس في الماء وابتعد قليلاً وقطع عدّة أمتار في مياه السدّ حتى اختفى عن الأنظار.
سارع الأصدقاء والمتنزّهون بالبحث عنه في كلّ بقعة من مياه السدّ . لكنْ عبثاً فعلوا .. لم يعثروا له على أثر. يالفظاعة ماحدث !
"صالح" ذلك السبّاح العالمي الشهير الذي قطع بحر المانش دونَ توقف وُجدَ غريقاً في بضعة أمتار وإنشْ في سدٍّ صغير في قريته في صباح اليوم التالي وقد التفّ عليه الخزّ الرهيب.
تباً لك أيّها القدر ما أقساكَ ، ويا لكَ من لاعبٍ ساخرٍ لا يرحم !

سمن وسكّر

علا صوت أمّ يوسف وهي تَلحقُ مسرعة بسيارة (الجيب ويلز) وهي تنادي: (يا يوسف.. يا يوسف .. نسيت غرض.. نسيت الغرض...وقّفْ السيارة..وقّفْ يَمّي.. بحياتك ..وقّف !)

توقّفت السّيارة بعد أنّ كانتْ قد قطعتْ عدّة أمتار مبتعدةً عن ساحة القرية التي خفّت إلى وداع أربعة شبان من أنبل شبابها قبل سفرهم إلى فنزويلا .

ناولتهُ والدته (الغرض) وضمّته إلى صدرها وذرفتْ الدموع بغزارة وكأنها تعلمُ في قرارة نفسها أنّ ابنها يوسف لن يعود إلى القرية في الوقت القريب .

طلبتْ من يوسف أن يحتفظ بالغرض ويعتني به في الرحلة البعيدة إلى فنزويلا. بكتْ وبكتْ ولوّحتْ بيديها عدّة مرات بعد أن ظلّت ترمق السيارة حتى اختفتْ عن ناظريها وعادت إلى بيتها حزينة رغم أملها أن يوسف سوف يعود إلى القرية وقد أصبح من الأثرياء .

انطلقت السيارة إلى بيروت حيث كانت الباخرة بانتظار آلاف المرتحلين إلى المجهول .

صعد يوسف ورفاقه إلى سطح الباخرة حيث كانت الأجرة أقلّ ، ومن بيروت إلى إيطاليا ويوسف مازال بين الحين والآخر يتأكّد من وجود (الغرض) الذي أعطته إيّاه أمّه وأنّه مايزال بحالة جيدة.

من بعد إيطاليا كانت الباخرة تمخر عباب البحر إلى الأطلسي في رحلة امتدّت ثلاثين يوماً وليلة التحفوا فيها السماء وافترشوا أرض الباخرة بفرشة رقيقة من الإسفنج ابتاعوها بطريقهم من على رصيف في إيطاليا. تأكّد يوسف للمرّة الألف أنّ (الغرض) ما زال سليماً كما أعطته إيّاه أمّه .

هناك..في تلك الأرض البعيدة لم يتبقَّ لدى الشباب سوى بضعة سنتيمات لاتغني ولا تسدّ الرمق، استطاعوا بفضلها أن يشتروا بضع أرغفة من الخبز وبعض السكّر.

عنَّ على بال يوسف أن يتأكد من سلامة الغرض الذي أودعته إيّاه أمّه، وبدأ بفكّ الأربطة ونزع لفائفَ القماش التي ثبّتتها أم يوسف بإحكام ليرى ماذا يوجد تحتها . وما إن وصل إلى آخر لفافة حتى وجد مرطباناً متوسّط الحجم مغطّى بإحكام مملوءاً بسمن الغنم العربي الشهيّ .

تذكّر لهفة أمّه وتوسّلها لسائق السيارة عند باب الدار وإصرارها على أن تعطيه (الغرض) الذي نسيت أن تضعه مع بقية الاغراض .

كم كانت فرحتهم عارمة إذ وجدوا مايسد رمقهم ويُسكتْ عصافير بطونهم التي كلّتْ من الزقزقة طوال فترة الرحلة المُضنية في المحيط .

لم يذق يوسف ورفاقه أشهى من تلك الأرغفة المغمّسة بالسمن العربي والسُكّر. أكلوا وأكلوا ...وشكروا الله والعمّةَ أم يوسف على هذه المفاجئة التي لم يحلموا بها بتاتاً في تلك البلاد الغريبة .

عاد يوسف إلى قريته في جبل العرب بعد أربعين عاماً وقد أصبح من الأثرياء لكنّه لم ينسَ طعم مرطبان السمن الذي أعطته إياه إم يوسف. قال : كان ذلك الرغيف المغمّس بالسمن والسكّر أشهى وليمة أتناولها في حياتي . لكنْ هيهات أن أكحّل عينيّ برؤية أمي وأقبل أياديها الطاهرة وأشكرها على ذلك (الغرض) الذي أصرّتْ أن أحمله معي إلى ماوراء البحار !

حُلُــمْ ...

كاد " محمد " أن يفقد الأمل بالعودة إلى مسقط رأسه في قرية "الدور" الكائنة في المقرن الغربي من جبل العرب ، بعد أن تعاقبت اللّيالي والأيّام العجاف ومرَّ على نفيِه إلى جزيرة غويّانا من قبل سلطات الاحتلال الفرنسية الشهور والأعوام وبعد أن أذاقتهم فرنسا شتّى صنوف التعذيب والتشريد في تلك الجزيرة النائية .

إلا أنّه وبعد أن أفرجتْ السلطات الفرنسيّة عن المعتقلين المنفيين عاد "محمد" إلى فرنسا مع من عادوا وقرّرَ البقاء هناك بقيّة عمره ،لكنّ حلمه بالعودة إلى مسقط رأسه لم يتوقّف .

في إحدى الأيام أُعلن عن رحلة سياحيّة إلى سوريا لمجموعة من كبار السن الفرنسيّين . أسرع "محمد" للالتحاق فيها آملاً أن تكون فرصته الأخيرة لإلقاء ربما آخر نظرة على بيته القديم ورؤية ابنه "مسعود" الذي تركه طفلاً رضيعاً .

وما أن وصلت المجموعة السياحيّة إلى مدينة اللّاذقية السوريّة عن طريق البحر وبدأ أفرادها بالتجوال في شوارعها حتى رأى على مقربة منه (كشكاً) لبيع الجرائد

فاشترى إحداها . وبينما هو يتصفّحها إذ به يرى اسم ابنه "مسعود" وتوقيعه على تبليغ لحضور جلسة في محكمة ..وعلم خلال التبليغ أن ابنه "مسعود" يعمل في سلك الشرطة السورية لكنْ أين؟...لعلّه يكون في السويداء ؟ قال في نفسه .

لقد أصبح حلمه قاب قوسين أو أدنى من أن يتحقق، وقرر الذهاب فوراً الى جبل العرب لزيارة بيته العتيق ورؤية ابنه . استأجر سيارة على الفور وطلب من السائق أن يأخذه الى محافظة السويداء ، إلى قرية الدور مسقط رأسه .

وما أن وصل إلى مشارف القرية حتى رأى مجموعة من الأطفال يلعبون على قارعة الطريق. طلب من السائق التوقّف .. ففعل .

عندما رأى الأولاد رجلاً غريباً أشيب الشعر يرتدي البنطال و(البرنيطة) الفرنسيّة ويحمل عكّازاً أسرعوا بالتفرّج عليه وعلى السيارة التي تقلّه وبدؤوا يتمقّلون ثيابه الغريبة التي لم تكن مألوفة في جبل العرب آنذاك وحاولوا لمسها .

اقترب السيد العجوز من الأطفال وسألهم إن كانوا يعرفون بيت السيد "محمد المنفي " حيث بدت له القرية وقد تغيّرت كثيراً عمّا كانت عليه في الماضي .

قالوا له نحن لا نعرف شخصاً بهذا الاسم ولا نعرف بيتاً له . ثم سألهم عن اسم وبيت ابنه الشرطيّ "مسعود" ، قالوا له هذا الشرطي قد غادر القرية منذ زمن وبيته مقفل خالٍ من السكّان الآن وهو يعيش في إحدى المدن السورية البعيدة . حزن "محمد المنفي" حزناً شديداً لسماعه هذه الأخبار المُحبطة، ثم أعطى الأطفال بعض الفرنكات التي كانت نادرة التداول بين الناس في تلك الفترة من خمسينيات القرن الماضي، وودّعهم والخيبة تملأ قلبه، فلا هو تمكّن من رؤية البيت الذي ولد وتربّى فيه، ولا تكحّلت عيناه برؤية ابنه مسعود إذ أصبح من المستحيل العثور على مكان إقامته الآن وطلب من سائق السيارة العودة فوراً إلى اللّاذقية للالتحاق (بالكروب) السياحيّ الفرنسيّ والعودة إلى فرنسا لاحقاً، كما تبدّد حلم أطفال القرية برؤية ذلك الرجل الغريب الذي أتى مرتدياً بنطالا وبرنيطة أوروبية بالحصول على القطع النقدية النادرة ليشتروا بها بعض الحلوى ؛ تلك الفرنكات التي نادراً ما لمستها أياديهم والتي كان يُستعاض عنها بالبيض أو القمح لاستبدالها ببعض الحاجيّات الضروريّة من الدكّان الوحيد الموجود في القرية.

من أساطير الشعوب

عندما عاد محمد الباروكي مُكرهاً، من بلاد الواحات المباركة إلى بلاد العوّايات بسبب تلويثه للبيئة، أرفقه أهلها بـ (خمس بحصات) سحريّة وأوصوه أن يضعها في طاقة صغيرة في بيته، فإن أضاءت (البحصات)[1] عند زيارة أحدهم لتهنئته بالسلامة،ما عليه إلا أن يهبَّ واقفاً ويسرع لاستقباله ويكرمه أفضل تكريم ، وإن لم تضىء (البحصات) فعليه أن يظل جالساً في مكانه ولا يتحرّك .

فرح أهل الضيعة بعودة الشيخ الذي غاب طويلاً عن قريته وأسرعوا للسلام عليه والاطمئنان عن أحواله.

كان أول المهنّئين وفدٌ من المشايخ الكبار وأوجه القرية ، (محمّلين مزمّلين) بالهدايا والنفائس والمأكولات مما لذّ وطاب .

نظر الشيخ إلى الطاقة و(الخمس بحصات) . لم يأتِ بأي حركة بل ظلّ قاعداً في مكانه ولم يتزحزح عندما دخلوا الغرفة للسلام عليه، وكلّهم شوق لرؤيته ، وكادوا أن يقبّلوا

---

[1] بحصات(عامية) : جمع"بحصة" وهي قطعة صغيرة من الحجارة. والفصحى : حصوة .

رأسه ويديه لولا خيبتهم الكبيرة بهذا الاستقبال الباهت ، وهم الذين أتوا ليتباركوا بلمسة من ثيابه أو مسحة على كتفه. بدأ الهمس واللّمز وكادوا أن يعكفوا عائدين إلى بيوتهم وتساءلوا فيما بينهم عن سبب هذا التصرّف الغريب للشيخ.

وبينما هم في حيرتهم الشديدة إذ بهم يرون راعيَ الماعز الفقير آتياً من بعيد يحمل في يده سطْلاً صغيراً من الحليب هديةً للشيخ ويتقدّم ببطء نحو المكان .

لم يكد الراعي يقترب من العتبة حتى شعَّ النور المبهر من (الخمس بحصات) الموجودة في الطاقة .

هبَّ الشيخ مسرعاً لاستقبال الزائر الجديد ثم قبّل يديه ودعاه أن يدخل ويجلس في (صدر الحضرة) وخضع له حتى كاد أن يلامس وجهه الأرض مُبدياً له كلّ التبجيل والاحترام.

استغرب من كان في المكان هذا التصرّف من الشيخ وأصرّوا على معرفة السبب .

قال الشيخ: وحقِّ الذي أوجدني، هذا الأمر ليس بيدي ولست مسؤولا عنه. بل إنّ السرّ يكمن في (الخمس بحصات) الموضوعة في الطاقة. فإن أضاءت للزائر فهي دليل قاطع أنّه من أهل الجنة ومن واجبي أن أُحسن استقباله ، وإن لم

تُضِيء فهذا يعني أنّ القادم مازال بعيداً كلّ البعد عن دخول الجنة ولا يستحقّ أن أقف له وأبجّلهُ وأُحسنُ استقباله .

وقد رأيتم بأنفسكم كيف سطع ضوء (البحصات) مع قدوم راعي الماعز ولم تُضيء عندما دخل وفد المشايخ والزعماء وأنا لا أستطيع مخالفة وصية أسيادي في بلاد الواحات .

صُعقَ الجميع وتعجّبوا ممّا سمعوا و رؤوا بأم أعينهم من أمر (الخمس بحصات) السحريّة التي تكشف دخيلة النفس البشريّة سواء كانت شريرة أو خيّرة .

قال كبيرهم بالله عليك يا حضرة الراعي أخبرنا ماذا كنت تفعل حتى أضاءتْ لك (البحصات) ونحن الذين أمضينا حياتنا نحفظ الكتاب المقدّس وتلاوة الآيات والمداومة على الصلاة والذهاب إلى المعابد والصوامع في الصباح والمساء .. بالله عليك خبّرنا ماذا فعلت حتى كرّمك الله كلّ هذه الكرامة؟

قال الراعي : (بدّي صفو خاطركن يا حضرة المشايخ) . أين أنا منكم. أنا مجرّد إنسان بسيط أُميّ لا أعرف القراءة ولا الكتابة وليس عندي وقت للمداومة على الصلاة وأنا ما زلت متأخِّرا كثيراً عنكم نفعنا الله من بركاتكم . وكلّ ما أفعله

أنّي أقوم برعي الماعز من الفجر حتى المساء وأعود إلى بيتي مُنهكاً ويأخذني النوم، وأصحو في صباح اليوم التالي وأكرّر ما قمت به في اليوم السابق. لكني كنت عندما أرى عنزة تأكل من مزروعات جيراني في غفلةٍ مني، أعيدها إلى المرعى وأقوم بحلْبِ ضرعيها على الأرض حتى آخر قطرة منه حتى لا أُضطرّ أن أشرب أنا أو أولادي وعائلتي حليباً حراماً . هذا كلّ ما أفعله في حياتي البسيطة ..لا أقوم بأكل الحرام حتى لو اضطررت أن أحلب كلّ العنزات على الأرض وأنام على الطوى أنا وأولادي . هل عرفتم السرّ الآن حضرات المشايخ وأكابر القوم !!؟؟

جمال الطبيعة الآسر

يا صباح الخيرات والثلوج و... (النواسيف).
استفقْنا هذا اليوم على منظر لا أبدع منه. نواسيف الثلج أقفلت كلّ الأبواب الخارجية .زجاج النوافذ مغطّى بالكامل بالنُدَف البيضاء الرائعة الأشكال .
زمهرير وبرد قارس تتجمّد له الفرائص. الثلج غمر سيقان أشجار التفاح والدراق والكستناء.زهور اللوز العطرة التي بدأت بالتفتح قبل أيام تطلّ برؤوسها من بين (الزنابيط) المتدلّية من المزراب صانعة أشكالا هندسيّة بديعة. رياح عاتية تقتلع كل شيء يأتي في طريقها .الطبيعة اليوم ترتدي حلّتها البيضاء مغطّية الجبال والتلال والأودية والطرقات .
والأجمل من ذلك هو السكون الذي يلفّ المكان. لا أصوات سيارات ولا درّاجات ،
فقط صوت هبّات الريح الغربيّة والشماليّة العاتية وصوت العصافير والبلابل المغرّدة تزقرق عند الفجر ،تتناغم بتغريداتها الجميلة مع بعضها بعضاً .
أرى الطبيعة اليوم تستريح والناس يتوقّفون عن الكدّ والتعب لبضعة أيام فقط ومن بعدها سيذوب الثلج ويبانُ

المرج ليعود كل شيء إلى ما كان عليه في السابق. كلّ شيء يبدو صغيراً أمام عظمة الطبيعة .سبحان الله الذي خلق هذا الكون العظيم !!.

الكَفرْ عام ٢٠١٨

عذراً أخي الطبيب

ذهبنا إحدى المرات لزيارة طبيب لإجراء معاينة طبّيةٍ عاجلة.عندما هممت بصعود الدرج الى عيادته الكائنة في الطابق الثاني،حاولت جهدي أن أجد محطّاً لقدمي فما أفلحت، وصرت أمشي الهوينى لكي أتجنّب نقعة ماء هنا وحفرة عميقة هناك على الطريق المؤدّية للعيادة. ومنذ أن وضعت قدمي على أول درجة للعيادة المذكورة حتى آخر درجة تُفضي إلى باب العيادة... رأيت

يا لهول مارأيت ! أعقاب السجائر تملأ المكان ،أكياس النايلون ، قشور المكسّرات ، الأتربة المتراكمة ربما منذ شهر. وبسبب انشغالي بالبحث عن مكان لقدميّ وبسبب ضعف بصري وغفلة مني وأنا أصعد الدرجة ما قبل الأخيرة، تزحلقتُ عندما دست بالخطأ على قشرة موز مرمية.

ثم تشقلبتْ حوالي درجتين أو ثلاثة ومن بعدها لمْلمتُ نفسي ثم استطعت الوقوف بصعوبة بالغة .

نظرتُ من حولي وشكرتُ الله ألف مرّة لأنّه لم يرَني أحد. لكنّني كنت خائفة على"الكُندرة الجديدة التي اشتريتها للتو" . هل حدث لها أي مكروه ؟

إذ عندما حاولت لبسها من جديد اكتشفت أنّ كعبها قد خُلع وتدحرج باتجاه الشارع.

لعنتُ الساعةالتي أتيتُ بها إلى هذه العيادة البائسة وقلت في نفسي :هل يعقل أنّ صديقنا الطبيب يروح ويأتي كلّ صباح ولا ترى عيناه كلّ تلك العجائب التي على الدرج ؟

والأفظع من ذلك أنّه عندما دخل الطبيب العيادة وهو يدخن، قام برميِ عقب السيجارة على الدرج وسحقها تحت قدميه مما زاد الطين بلّة. عندها تساءلت . هل يعقل أنّه هو من يقوم برمي السجائر على درج عيادته أم أن يأسه من تحلّي مراجعيه ومرضاه بمراعاة النظافة والحفاظ على البيئة قد دفعه إلى هذا التصرّف على مبدأ "فالج لا تعالج"؟ سواء كان هذا أو ذاك فالمسؤولية تقع في كل الأحوال على الطبيب والمجتمع وقلت في نفسي متى نرتقي ونتخلّص من هذا الاستهتار بالممتلكات العامة. حقاً ! إنّ في النظافة حضارة!

□

عندما تلتقي الموسيقا مع الروحانيّة والزهد

رحم الله الموسيقيّ الذي علّمني وعلّم أولادي أولى أبجديات الموسيقا..كان معلمي لمادة التربية الموسيقية في زمنٍ كان درس الموسيقا يعتبر درساً للّهو والاستراحة والشغب..لكنّ الأستاذ حمد استطاع بموهبته الموسيقيّة الفذّة وهدوئه الحالم أن يشدّني إلى درس

الموسيقا لدرجة أنّني كنت أنتظر درسه بفارغ الصبر، وأصبحتُ بفضله قادرة على قراءة النوتة الموسيقيّة عندما كنت طفلة في الصفّ الثامن . وكم كنت أتمنّى أن أكمل دراستي في الموسيقا وأصبح عازفة كمان مثل أستاذي البارع ..لكنْ هيهات! لقد كان ذلك محرّماً على البنات في ذلك الزمان .

عندما ظهرت موهبة ابني خلدون في العزف .. عاد الأستاذ حمد اشتي ليعلّمه العزف على البيانو من جديد ..وكم كانت فرحته شديدة عندما أتى إلى بيتنا في قرية الكفر من أجل تعليم خلدون العزف ورآني وقال لي : أنتِ سلوى ؟ لقد كنت طالبة عندي في سبعينيّات القرن الماضي . هل تذكرين ؟ كنتِ تحبّين درس الموسيقى كثيراً ...لقد تذكّرتك جيداً .

لماذا لم تدرسي الموسيقا يا سلوى ؟

ها هو خلدون الآن يحقّق حلمك وسوف يصبح عازفاً بارعاً إن شاء الله.

نعم لقد كان للأستاذ حمد الفضل الكبير في تعليم خلدون أبجديات الموسيقا وأصول العزف على النوتة.

رحم الله المربّي الفاضل والموسيقي الزاهد الأستاذ حمد اشتي المعلم الأوّل الذي تخرّج من المعهد العالي للموسيقا في مصر جنبا إلى جنب مع الفنّان الشهير بليغ حمدي والذي ربّما كان الأستاذ حمد سيتفوّق عليه لو سنحت له ظروف وفرص غير تلك التي عاشها .

معاناة معلّمة

قالت لي: أنا لا أستطيع أن أعطي الطلّاب الدرس المقرّر بسبب شغبهم في الشعبة الذي لم يعُد يُحتمل .

التربية الحديثة اليوم تمنع المعلّم من استخدام الضرب أو العنف أو الكلمات النابية أو إخراج الطالب المشاغب من الشعبة أو حتّى العبوس في وجهه . الأهل فيما مضى كانوا يقولون للمعلّم "اللّحمات إلك والعظمات إلنا" ،

أما اليوم إذا سوّلت للمعلم نفسه أن (يُجقّرْ) في وجه طالب فسوف يقيم الأهل الدنيا ولن يقعدوها على رأس هذا المعلم

المسكين،وسوف تشتعل وسائل التواصل الاجتماعي والفيس بوك بالمسبّات والتهديدات والمسخرات والاستهزاءات ... فلا نقابة المعلّمين ولا التربية ولا إدارة المدرسة تستطيع الدفاع عن هذا المعلّم أو الوقوف في وجه ما يتداوله الناس من تشويه لسمعته .

ثم قالت : أنا إنسانة مسالمة لا أُتقن الضرب بالعصا والعراك في الصّفّ أو حتّى العبوس في وجه التلاميذ بل أُعاملهم بكلّ محبّة واحترام. وفوق ذلك أنا أحبّ مهنتي وأعشقها لكن أخشى على نفسي أن أترك هذه المهنة إلى الأبد بسبب ما وصلنا إليه من الفوضى والتسيّب وقلّة الاهتمام من بعض الطلّاب المستهترين الذين يدفعوننا إلى اليأس..قولوا لي ماذا بوسعي أن أفعل في هذه الحال ... بربّكمْ ؟؟؟ .

مفارقــة

كان الرجل فيما مضى يخجل أن يمشي مع زوجته في الطريق العام جنبا إلى جنب. وكان يبتعد عنها مسافة لا تقلّ عن ثلاثة إلى خمسة أمتار. وكان قلّما يكلّمها، وإذا كلّمها لا يلتفتُ إليها .

أمّا الزوجة المسكينة، فكان عليها أن تتبعه كظلّه أينما ذهب من دون أن (تبزم) .

معطفي الذي لا يشبه معطف غوغول

عندما استلمت أوّل راتب لي من أجور الساعات خارج الملاك ، ذهبتُ رأساً إلى الصالحيّة.. إلى أشهر محلّ ملابس في ذلك الوقت في دمشق. محل مارينا المشهور . قلتُ في نفسي : (شو هلّي عبيلبسوا من مارينا أحسن مني يعني ؟).

دخلت المحل وتفتّلت فيه مثل هلّي الله عاطيهن) ، ظنّاً مني أنّي أصبحت من الطبقة البرجوازيّة وبحوزتي الكثير من النقود لكي أقبر الفقر إلى الأبد .

وبينما كنت أتجوّل في المحلّ وقعت عيناي على معطف لون بني محروق طويل وجميل تتمنّاه كلّ بنت عشرينيّة تود

أن تتمشّى في دروب جامعة دمشق. كما أنّني اشتريت (بنطلون شلصطون) بفتحات للأرجل حوالي ربع ذراع، وقبّعة.

في عطلة الخميس ارتديت معطفي وتحته البنطال وقبّعتي الجميلة وسافرتُ إلى قريتي ..الكفر.

وصلت متأخّرة وكنت متعبة. سلّمتْ على أهلي وخلعت معطفي وبقيّة ثيابي الجديدة وعلّقتها على الحائط في مسمار لعدم وجود خزانة في البيت . نمتُ تلك الليلة نوماً ثقيلاً .

استيقظتُ في الصباح الباكر لكي ألقي نظرة على معطفي الجميل وبقية ثيابي . نظرتُ إلى الحائط حيثُ علُقتهم . فلم أجد شيئاً. يه، يه ! أين هي ثيابي ؟ بدأتُ البحث في غرف البيت. لم أعثر على شيء. قلت: (يا بنت ،بعد في بيت (الطّحش).

روحي دَوْرِي عليهن غاد ،لعلّ وعسى !) .

دخلت بيت (الطّحش) وإذ بمعطفي الجميل وبنطالي وقبعتي قد كَمْكَرَتْ أمّي بهم(لَكَنْ)[1] العجين الكبير الذي كان يتّسع لعَجين مُدَّين وربع من الطحين. وكانت لكاكيع(بقع) العجين وآثار الطحين وأصابع أمي تزركشهم برسومات تجريديّة

[1] لَكَنْ العجين : وعاء كبير يستخدم للقيام بالعجين الخاص بالخبز .

وتكعيبّة تشبه لوحات بيكاسو . لقد أصبح معطفي وبنطالي وقبّعتي في ذلك اليوم في خبر كان. وحلمي الجميل لفّه النسيان ، وفرحتي التي ما تمّت لم تعد في الحسبان.

عودة إلى الطبيعة

أقول لبَنات اليوم أنّ جدتكم سلمى مازالتْ تحضّر كلّ شيء في البيت ولا تأكل من أكل المطعم إلا في حالات خاصة جدّاً . إليكم ما أقوم بصنعه في البيت حتى هذه اللّحظة:
أقوم بزرع مساكب صغيرة في حديقة المنزل من النعنع، البقدونس، الجرجير، اللوبياء، الفجل، الخبّيزة، البقلة، الفليفلة، وغيرهـــا. هذه المزروعات بالإضافة لفائدتها الاقتصادية تعطيك بعض الوقت للعودة إلى الطبيعة عندما تسقينها وتعتنين بها وتقطفين ثمارها وتتنفسين الهواء المنعش النقيّ. فيها متعة لا تُقدّر بثمن.. (جرّبيها وشوفي صديقتي).
أمّا فيما يتعلّق بأمور الطبخ والنفخ فأنا أقوم بصنع أغلب الأشياء في المنزل مثل: الكشك،الكثا،البرغل،اللبنة،الجبن ، زعتر المائدة،المربّيات، الفواكه المجفّفة، الخضروات المقدّدة،

الزبيب، دبس العنب،دبس البندورة، العصائر الطبيعية، توت، حصرم، خوخ، ودراق، تجفيف الأعشاب مثل المردكوش الخزامى، والزهور وغيرها.. .

ويتمّ ذلك كلّه بمساعدة زوجي وزوجة ابني وكلّ أفراد العائلة يساهمون كلٌّ حسب وقته ومعرفته .

والقيام بهذه الأمور ليس مستحيلاً أو حتى صعباً كما تتخيّلين صديقتي الجميلة. كما أنّه لا يتناقض مع العمل خارج البيت . وهنالك الكثير من الوقت إذا توفّرت الرغبة للقيام بمثل هذه الأعمال، إن لم يكن جميعها، فليكن بعضٌ منها .

أتمنّى لك صديقتي غذاءً صحيّاً وعودةً جميلة إلى أحضان الطبيعة.

اجتماع مُهمّ

في أحد الاجتماعات المهمّة لرؤساء الدوائر في محافظة السويداء ،تجرّأ أحد الموجودين مخاطباً مدير الجلسة وقال: إنّ مدينة السويداء حبيبتي ومسقط رأسي وتاج راسي ونور عيني التي لا أستطيع مفارقتها رمشة عين قد أصبحت مدينة تتراكم في شوارعها وأزقّتها النفايات والقاذورات ،كما لم تكن في يوم من الأيّام كذلك..أخاف ياسيدي مدير الجلسة أن تطمرنا النفايات (وتطلع ريحتنا).كما أخاف من بركة الحج الرهيبة أن تصبح مكانا لتصدير الميكروبات والأمراض السارية. أليس هنالك حلٌّ ؟؟ هل استعصى الأمر عليكم وعلى خبرائكم ومهندسيكم إلى هذه الدرجة؟؟

غضب مدير الجلسة وصاح بوجه المتسائل وقال : ألا تعلم يا هذا أنّ مدينة السويداء هي أنظف مدينة في العالم ؟؟

ردّ المتسائل بكلّ أدب واحترام وقال : إنْ كنت تقصد بالعالم هو المسافة الممتدّة من العانات[1] للصَوَرَة الصغيرة[2] فأنا

---

[1] العانات :أبعد قرية في محافظة السويداء من جهة الجنوب..على حدود الأردن.

[2] الصَوَرَة الصغيرة : أبعد قرية في محافظة السويداء من جهة الشمال على طريق دمشق

معك مئة في المئة..ولن أبوح بكلمة بعدَ الآن. أعتذر منك ياسيدي على جرأتي وطول لساني .

صحتلنا إلو بيعة !

عندما كانت"بهية" طالبة في جامعة دمشق كلية الآداب ، انبهرت بالازياء الجميلة التي ترتديها الطالبات الدمشقيات الثريات. منهنّ من كانت تلبس الميني جيب أو الماكسي أو الميدي ، والأكمام القصيرة والحفر .وقلة منهنّ كنّ يرتدين الشيالات. لكن اكثر مادرج في تلك الآونة موديل البنطال الشلصطون(شارلستون) الذي انتشر كثيراً ولم يعد إلى الظهور منذ ذلك الحين حتى اليوم .

كان هذا البنطال ضيق جداً على الجسم وله خصر واطي ، لكن أرجله من تحت كانت شديدة الاتساع لتصل أحياناً الى ٣٠ سم تقريباً .

ومن بين كل هذه الازياء أحبت "بهية" هذا الموديل بالذات وتمنت لو تستطيع شراء واحداً منه لتتباهى به في طرقات الجامعة. لكن المشكلة تكمن في الحصول على ثمن البنطال. كيف لها أن تشتريه وهي بالكاد تملك مصروف

المواصلات وثمن الكتب والنوتات والاشياء الضرورية والمُلحّة ؟ إنه من الأحلام المؤجلة بل المستحيلة.

لم يتركها حلمها بحالها بل ألحّ عليها إلحاحاً شديداً.

فكرت بالأمر مليّا ثم خرجت بخطة تقشفية جهنمية . حيث ستأخذ من مصروفها الشخصي مبلغاً صغيراً كل آخر شهر لمدة ستة أشهر ومن ثم يمكنها شراء البنطال.

بدأت حملة الترشيد والتقشف طيلة ستة أشهر متتالية، استطاعت بهية بعدها، أن تجمع ثمن البنطال بعد أن ألغت شراء أي شيئ مهما كان .حتى أنها صارت تذهب وتعود إلى الجامعة مشيا على الأقدام.

أصبح الحلم قاب قوسين أو أدنى من التحقق. إذ في نهاية الشهر السادس أخذت ما جمعته من المال وتوجهت رأساً إلى سوق الصالحية العصري واشترت منه بنطالاً جميلاً ، كارويات أبيض وأحمر يُبهر الناظرين إليه. أما أرجله من تحت فقد كانت تشبه الأرجوحة من شدة اتساعها .

عادت الى سكنها في القبو في شارع المجتهد واستقبلها أخاها "بهاء "، طالب الصف العاشر ، بالأحضان وبارك لها من كل قلبه بالبنطال الجديد .

طوت "بهية "البنطال الجديد ووضعته في الخزانة وقررت أن توفره للربيع حيث تصبح الاجواء ملائمة اكثر للجخة. حان وقت عطلة الربيع. كان "بهاء" سيغادر دمشق ويسافر إلى القرية ليقضي العطلة بين الأهل والأقارب .

عندما بدأ يحزم أمتعته قال لأخته بحنان :

(يختي "بهية" ..بتعيريني بنطلونك الجديد . بنطالي صار عتيق ومش حلوي بحقي إلبسوا على طريق العين قدام صبايا عين موسى ؟)

كانت بهية تحب أخاها الأصغر منها حباً شديداً ولاتريد أن تكسر بخاطره أو ترفض له طلباً.

(آ..معلوم ،بعيرك إياه. بس بحياة عمرك ! دير بالك عليه مليح ،هه. بتعرف قديش تعذبت لمني اشتريتو) .

رد بهاء بكل ثقة : (ولوّ يختي ؟ اتكلي على الله وما يكنلك فكر أبداً ،أبداً).

ذهب بهاء الى الضيعة وقضى عطلة ممتعة بين الأهل والأقارب والأحبة. وتمشى على طريق عين موسى حيث تمتع بجمال صبايا الضيعة وهنّ يحملن مناشل المياه على أكتافهن .

عاد بهاء إلى دمشق مسروراً بعد أن قضى عطلة ممتعة في القرية . استقبلته "بهية" استقبال الأبطال بعد أن اطمأنت على أهلها وأقاربها. وبعد سؤال من هنا وضحك ودردشة من هناك ،قالت بهية:

(وين صار البنطلون يا خيّي يا ضو عينيّ ؟)

لم ينظر بهاء في عيني بهية مباشرة بل خفض رأسه إلى الأسفل باتجاه الأرض وقال بصوت خجول :

(والله البنطلون مش معي!)

شهقت بهية شهقة كادت تخنقها : (شو عبتقول إنت ، وين راح البنطلون ؟ ليكون ضاع ولا انسرق لاسمح الله ؟).

رد بهاء بكل برود:

(لا...لا...ما يرحش فكرك لبعيد كثير ،بس صحتلنا إلو بيعة ...وبعتو).

(شو عبتقول انت..صحتلك إلو بيعة .. وبعتو؟

ولمين بعتو يا قصيف الرقبي .الله لايعطيك العافية فوق تعبك) .

(والله بعتو لأختي " إنتصار " بخمسة وعشرين ليرة ونص وبالتقسيط لخمس تشهر) .

"هههه"...ضحكت بهية من الأعماق بعد أن وبختّه على فعلته هذه: (ولك يا ولد ابتستحيش على حالك إنت ؟ ولإختي "إنتصار" كمان ؟ وأني كيف بدي إشتري بنطلون شلسطون عاد؟ التوبة بعد عيدها..التوبة. ! صحيح إنو العيري موكّل فيها ابليس !) .

من قصص الأطفال

رد مناســب

كان "نديم " طفلاً في الصف الاول الابتدائي كثير الحركة ،كثير الكلام والحوصان داخل الصف ،يلكش هذا ويلطش ذاك. عندما تستدير المعلمة لتكتب على السبورة يقوم بحركات مضحكة تجعل الصف ينحرف بانتباهه عن الدرس وينفجر بالضحك. أحياناً يرمي الطباشير ومساحة السبورة على رؤوس الاولاد ،يجلس تحت المقعد.يصدر اصوات مثل اصوات الحيوانات، يعني اكثر مايشبه عفريتاً صغيراً (مكفّت ببنطلون ومريولة مدرسة زرقا).

احتارت المعلمة في أمره ،فهو طفل صغير ولايجوز ان تضربه او تطرده او حتى تصرخ في وجهه او توجه له اي كلمة نابية حتى لايكره المدرسة لأن هذا السن حساس جداً .هذا بالاضافة إلى أن الأساليب التربوية القديمة قد مُنعت من المدارس منعا باتا تحت طائلة المسؤولية. لقد باتت تصرفاته تزعجها ونفذ صبرها ولم تعد تتحمله:

(وَلك يا "نديم" الزفت.. قعود محلّك.. ولاااا..حاج تحوص.. مثل البلوطة بالصحن !) صاحت المعلمة .

رد نديم منفعلاً : (خلّي عنك إنتي يا لوزي مدحّبرة ...الجمل لو شاف حردبتو بيُقعْ وبتنْفكّ رقبتو)..

سهرة مع الطفل يزن

أمضيت سهرة ممتعة مع الطفل يزن الفائق الذكاء ذي الثمان سنوات وهو ابن أحد أصدقائنا ، ودار الحديث التالي بيني وبينه .

كيف حالك يا يزن هذه الأيام ؟

كثير منيح اني ياتيتا لكن ...

لكن ماذا يا يزن ؟

كم كنت أتمنى لو أصبح محمد علي كلاي رئيساً للولايات المتحدة...

هههه.. وما هو السبب لأمنيتك هذه ؟

لو نجح محمد علي لكان كسرو تكسير لترامب ..

ومن هو ترامب هذا ؟

ترامب هذا هو هتلر ثاني ياتيتا ... بتعرفيه انتي لهتلر ؟

نعم..أعرفه..

وماذا لو أصبح محمد علي رئيساً للولايات المتحدة ؟

محمد علي كلاي يدافع عن المظلومين وكان سيهزم ترامب بالضربة القاضية ...

طيب .. ماذا تريد أن تصبح بالمستقبل ؟

أريد أن ابني شركة عملاقة اكبر من برج خليفة . وسوف اشتري حواسيب كبيرة جداً..

لماذا ستختار هكذا عمل يا يزن ؟

حتى أوازن بين العقل والقوة... وأحتاج إلى إنجاح هذا المشروع الى أموال كثيرة...تريليون..أو أكثر..

ومن سيساعدك في هذا المشروع ؟

اتفقت أنا وابنة عمي ملاك على ذلك.

وكم عمرها ملاك ؟

ثلاث سنوات ... لكنها ما زالت لا تعرف الكلام جيداً. فهي تلفظ حرف العين والغين .. تلفظهم ... حاء ..

وما هو شعارك يا يزن في هذه الحياة ؟

أنا فراشة زاهية تطير بين الزهور، ولكني في الوقت نفسه نحلة تلسع...

أنت ولد فائق الذكاء يا يزن وأتمنى أن تحقق أحلامك المستحيلة حماك الله ورعاك .

على أطلال الذاكرة

كان المرحوم والدي يرسلنا الى المدرسة ونحن في سن الخامسة . هذا يعني انني ذهبت الى مدرسة الفتاة في السويداء وانا في عمر الحادية عشرة . ولحياتنا في السويداء والمدرسة حكايا لاتنتهي منها الخوف من الرسدي التي كانت تخبط باستمرار تحت غرفتنا، ومنها الضياع في المدينة وعدم معرفة مكان البيت ، ومنها حمل المحزوم من حارة الى حارة تحت جنح الظلام ووقوعه عن ظهورنا أنا وأخي وبعثرة الكتب والدفاتر والأقلام ودحرجتها في الطريق وإعادة البحث عنها ولملمتها من جديد، سواء كان قرمة قلم او قسمة محاية صغيرة او مسودة، لأن كل شيء كان له قيمة كبيرة وليس مسموح لنا التفريط به أبداً. (الغرض هلي بتضيعوا منعدش نشتريلكن بداله..دبروا راسكن).

ومنها أيضاً قيام السيد كحتوت الذي استأجرنا عنده غرفة للسكن ، قيامه بالدخول الى الغرفة من باب السر المؤدي الى مضافته وإطفاء اللمبة الوحيدة الموجودة في الغرفة في أول الليل بحجة التوفير وعدم زيادة مصروف الكهرباء لديه ،

مما يضطرني لكتابة وظائفي وحفظ دروسي(بس يْهَرّقّ الضو).

ومنها أيضاً عندما اعتقدت نفسي اني شجاعة جدا وقلت لأهلي انني سوف أبقى وحيدة في السويداء للإستعداد للإمتحان النهائي لأن في القرية شغل وعمل كثير ولا استطيع القراءة بين عائلتي الكبيرة العدد. وفي إحدى الليالي الكانونية الرهيبة ..ثلج..رعد..برق..ريح عاتية، بينما كنت نائمة بعد عناء الدراسة، إذ بالنافذة الخشبية المهترئة تهزها الريح عدة مرات بقوة وتفتح على مصراعيها ويدخل كلب مرتجف يعوي بحزن ليحتمي في غرفتي من شدة الامطار والبروق، مما جعلني لايغمض لي جفن حتى الصباح ولذت بالفرار الى بيت صديقتي انصاف محمود حمزة ومن بعدها الهروب الى الكفر. و غير هذه القصص ..الكثير الكثير.

لكن من جهة أخرى كان أخوتي الأكبر مني يتواجدون معي اغلب الأحيان ، والمرحوم والدي كان لديه أصدقاء من اشرف الناس وأكرمهم وكان يستأجر لنا غرفاً جيدة عندهم وبين أسرهم . كانوا يعاملونا كاولادهم بالضبط . وبما أن نشر الفضيلة حلال سوف اذكر من كان له الفضل الكبير في

رعايتنا ليس كمستأجرين أبداً بل كأفراد من عوائلهم.رحمهم الله اجمعين :

المرحوم أبونايف حسين خضير ، حيث كان محله التجاري موضوع تحت تصرفنا نستدين منه مانشاء متى نشاء. هكذا كان الإتفاق بينه وبين الوالد المرحوم الاستاذ هاني ابوصالح واولاده.كانت مكتبته موضوعة تحت تصرفنا بالإتفاق مع الوالد نأخذ منها كل مانحتاج من لوازم المدرسة .

كان يقول لي المرحوم السيد هاني أبو صالح دوماً :" مكتبتي تحت تصرفكم يابنتي . ليس مكتبتي فحسب بل بيتي أيضاً . نحن فخورين بكم إذ تتركون أهلكم وتأتون إلى المدينة لتحصيل العلم في وقت عزَّ فيه السماح للبنات بارتياد المدرسة. أنا ووالدك قد التقينا على نفس المبدأ. تعليم البنت قبل الصبي ، والنية مصروفي عالخير إن شاء الله " .

كم كان لوقع هذه الكلمات أثراً على نفسي . لقد أصبحت هذه الكلمات مع تشجيع والدي المستمر دستور حياة مستقبلية . وكم أنا سعيدة اليوم أننا لم نخذلهم بل سعينا بكل جهدنا لتحقيق أمنياتهم في حمل رسالة العلم المقدسة . ولن أنسى الدعم المعنوي الذي قدمه لنا كل من المرحوم

الأستاذ فضل الله حاتم. المرحوم أبو محمد اسماعيل جربوع.
المرحوم أبو فوزي حسن رسلان وعائلته الكريمة والمرحوم جادالله عزالدين وأولاده ، ووالدة الصديقة الدكتورة ندوى العبدلله خالتي إم غالب، والمرحومة ام نواف بدران والدة الصديقة الماسة بدران، العمة إم مرسل الحلبي والصديقات سهى أبوجمرة ، أملي السنيح ، إلهام رسلان. الأستاذ سعيد نادر. الآنسة الرائعة نوال الشوفي.
لكل هؤلاء ولمن قد نسيت ذكر أسماءهم ألف بطاقة شكر وامتنان على ماقدموه لي ولأخوتي من دعم معنوي حتى استطعنا اجتياز تلك المرحلة الصعبة.
وأخيراً أختم المقال بالترحم على روح العم ابي سعيد فارس حاطوم الذي له افضال ليس فقط علي بل على كل اولاد المقرن من سهوة الخضر. مياماس، حبران، الكفر، الرحا . حيث كان يمتلك سيارة جيب وحيدة وكان يساعدنا في حمل اغراضنا وزهابنا ويجلبنا من بيوتنا في عز الثلج والصقيع..انا لا أنسى وجهه الضاحك البشوش ومرحه الزائد معنا حتى يخفف عنا الشعور بالغربة والمعاناة بعيدين عن أهلنا..الف رحمة عليه.

□أمـــي

باللهجة المحلية لجبل العرب

مابعرف ليش تذكرت المرحومي إمي اليوم . وقلت لحالي كيف قدرت تربي اربطعشر ولد..وتتحمل فقدان اربعة منهن على حياة عينها. تذكرت كيف كانت تلوذ بيضات الجاجات بكوارة القمح على أساس انو تالي النهار بس يجي المرحوم بيي من الكروم تقليلنا هني ونتغدا كلنا سوا . بس مسكينة كانت تجي تلاقيهن على طول ناقصين ، لأنو من كثر العيال كان كل مان إيدو إلو. وكل ماجاع واحد منا يروح يسحب كم بيضة ويقليهن بشوية دهن معاليف وسمن عربي وياكلهن مع رغيف خبز عربي ، ويمرق بطريقو على طنجرة لبن الغنم او طنجرة البوزليط[1] ويغرفلوا منهن غرفتين تلاثي وبعدين يمرق على بيطس الدبس ويختمها بتحلاية . اكل ولا أطيب من هيك.

ولا يومن كانت تبعثنا على دار خالي لنستقرض من عندهن خبز ، كيف كنا ناكل نصهن على الطريق ويوصلوا على البيت

---

[1] البوزليط : مزيج الحليب والمسوي يصنع منه الجبن...طعمه لذيذ جداً . . المسوي: معدة خاروف ولد للتو ، يذبح لهذا الغرض (استخراج المعدة وتجفيفها في الشمس).

كإنو مقروشهن الفار. وبس تشوفهن تصير تغشغش وتضحك وتقول : ياعمي شو صايرلكن ياولاد..شو بايتين الخلا ؟؟؟ وترد عليها اختي الصغيرة من نص قراقيح قلبها وتقول : (الجوع يا إمي...الجوع).

رهيجي....يا....رهيجي..!!

بينما كان العم إبو صابر يجلس على مصطبة صغيرة أمام باب مضافته المتواضعة يستمع إلى عبدو موسى وهو يلعب على الربابة ، أقبلت عليه صُربة من أكابر القرية ووجهائها . عندما اقتربوا من باب الدار (قَحَصْ) من مكانه للسلام عليهم ودعوتهم من باب المجاملة ليس أكثر لاحتساء فنجان من القهوة المرة على السريع، وبزيارتهم سيتبارك البيت بمن فيه
لبّت الصربة دعوة إبي صابر بعد أن (عورض) لهم في الطريق و(تّرتحْ) بهم بقوة وقبلوا دعوته بكل طيبة خاطر.

أهّلَّ أبو صابر بالمساير وهبب ريحهن وسقاهم القهوة المرة كما هي العادة في جبل العرب. همّ الضيوف بالمغادرة

شاكرين أبا صابر على القهوة وحسن الإستقبال. دَبّت النخوة في رأس أبي صابر وأصر عليهم من جديد أن يمكثوا في ضيافته حتى يؤدي الواجب بعد أن زارته البركة بقدومهم ورفض قبول أي إعتذار منهم . رضخ الضيوف لمشيئة وقبلوا دعوته لهم للغداء .

أسرع أبو صابر ليزف الخبر إلى زوجته (رهيجي) حتى تتدبر أمرها ، وهُرع إلى (الصيري) [1] حيث كان الخروف الوحيد الذي أعدّته وعلفته وسمنته إم صابر لعيد الصليب حتى تصنع منه القاورما مؤونة للشتاء . كان هذا الخاروف البديع كل ما يملكه أبو صابر وأم صابر وهو (حيلتو وحواليه) .

شحطَ ابوصابر الخاروف من رقبته وبطَحَهُ[2] أرضاً أمام باب المضافة مباشرة وعلى مرأى ومسمع الضيوف وبدأ يسنّ الساطور ويشحذه وبدأ بالبسملة على روح الذبيحة مردداً : سبحان من حللك للذبح ... سبحان من حللّك للذبح.

والضيوف يروون ويسمعون ولا يقولون شيئاً .

---

[1] الصيري : حظيرة الحيوانات .

[2] بَطَحْ : انزله على الأرض

كانت (رهيجي في هذه الأثناء تراقب زوجها من باب غرفة الطحش تملأ قلبها الحسرة على خسارة خاروفها الغالي وحزينة على شتاء قادم من دون وجود القاورما ، متحسرة على أيام قضتها هي وزوجها على تسمينه وتهيئته لأيام الشتاء الصعبة، لكنها لا تستطيع الإعتراض ورضخت لرغبة زوجها (كثير الغلبي) للقيام بالواجب .

(ماع...ماع..ماع) صرخ الخاروف بصوت مخنوق معبراً عن إستيائه من إبي صابر لجره من رقبته وشحطه بالقوة ومن ثم محاولة ذبحه أمام الضيوف. ربما كان يستجديه أن يعّف عنه ويتركه يعود إلى الزريبة، لكن أبا صابر شدد قبضته أكثر على عنقه وعاد يشحذ الساطور من جديد . كان الضيوف يراقبون المشهد عن كثب منتظرين بفارغ الصبر أن تَتمم رهيجي طبخ المنسف العربي بلحم الخاروف مع الملحية والكبة المقلية ، هذا وقد بدأت عصافير بطونهم بالزقزقة .

نادى أبو صابر على زوجته : (رهيجي..يارهيجي..في عنا كثا لنطبخ الخاروف)؟

رهيجي : (لا..لا..يابو صابر فش عنا ولا دِرْسْ[1] . ومن تلاث تشهر مافتش بيتنا) !

[1] قطعة صغيرة جداً من اللبن المجفف تماثل ضرس الأسنان .

عاد أبو صابر لشحذ الساطور أمام الضيوف ونادى على زوجته من جديد : (رهيجي..يارهيجي..! في عنا سمن عربي لنقفّر المنسف)؟ (لا .. لا .. ياذلي. من اللّي السمن العربي... عبْشوفوا بالمنام السمن العربي يابو صابر).

ردت رهيجي .(الآن وقد كتّفَ أبو صابر الخاروف جيداً، وأصبح الساطور على رقبته، طرح على زوجته سؤالاً أخيراً وبصوت مرتفع : رهيجي.. يارهيجي .. عنا برغل خشن لنكعّب المنسف ؟) .

رهيجي : (بعدنا ماسمدناش السنة يابو صابر ..يا عليلا لو في ..ياعليلا !)

نظر أبو صابر إلى الضيوف الذين سمعوا كل مادار بينه وبين زوجته آملا أن يتكلم كبيرهم ويقول : جيرة الله عليك يابو صابر لاتذبح هالخروف . لكنهم جميعا صمتوا صمت القبور وبدأوا يتهامسون ويهمزون : خليه يذبح الخاروف. الله لايقلع عن قلبه

ثم نظر إلى زوجته نظرة خبيثة فهمتها رهيجي (عالطاير) وأفرحتها كثيرا ، ثم نظر إلى الخاروف المسكين وحلّ وثاقه ببطء وأبعد الساطور عن رقبته وركله ركلة قوية على إليته وصاح عليه بصوت مرتفع سمعته رهيجي والضيوف :

(قِّيّ...قِّيّ يا سايب[1] . لا كثا[2] ولاسمن ولابرغل من غير جحد ياربي ..شو بطبخك بميّ[3] ..يَعني) ؟

لم يصدق الخاروف أن السكين قد ابتعد عن رقبته وراح يركض ويبرطع[4] في أرض الدارة تارة، وتارة يتعمشق على شجرة التوت وتارة أخرى يلف ويدور حول نفسه مبتهجاً بنجاته من ساطور العم أبي صابر وشامتا بخيبة أمل كبار ووجهاء القرية بأكل المنسف[5] العربي الشهي بلحم الخاروف من تحت ديات (رهيجي)[6] وقد ملأ ثغاؤه الحارة ... ماع.. ماع...ماع ...مبتهجاً بحصوله على فرصة جديدة للحياة والحرية .

---

[1] قيي ياسايب : إذهب ..ياسايب. وتقال لمخاطبة الحيوانات.

[2] كثا : لبن مجفف في الشمس.

[3] ميّ : ماء

[4] يبرطع برطعة: يقفز للأعلى تعبيرا عن الفرح .

[5] نقفّر المنسف: نضع عليه السمن .

[6] رهيجي: إسم إمرأة قديم.

تررررح.....خيييى[1] ....!!

كان العم الطيب أبوحسين يريد أن يُعلم أولاده العشرة من بنين وبنات كل شيء ؛ الزراعة والسراحة والعزالة والسباحة وركوب الخيل، بالإضافة إلى الذهاب إلى المدارس وتلقي أعلى درجات العلم . لذلك عندما جاء شهر نيسان الذي يتزامن مع موعد الامتحانات والفلاحة في آن واحد، أيقظ أولاده الاربعة، تركي وفضل الله، وتركية وفرنجية لكي يرافقوا العم بو حمد شبلي الى كرم (الطار) حتى يساعدوه على تدّيير العنب[2] .

نهض الاولاد الاربعة على مضض يفركون أعينهم من شدة النعاس، وركبوا الدواب والتحقوا بالعم بوحمد شبلي يسابقون اشعة الشمس الآتية من خلف التلال الشرقية .

وما ان بدأ أبو حمد بحراثة أول ثلمين جيئة وذهاباً حتى سمع تركي ينادي بأعلى صوته من رأس الكرم :

---

[1] ترّح خي : تعبير يستعمله الفلاح مناديا الحيوانات التي تجر المحراث لكي تستدير الى الخلف .

[2] تديير العنب : تدوير دالية العنب من قبل المدير حتى يستطيع الفلاح حراثة الارض تحتها .

(تركية. ياتركية. يختي ! حبيبتي خليكن إنتو مع عمي بوحمد. أني عندي فحص وبدي روح إقرا).

سَمعَ أبوحمد ماقاله تركي الابن الأكبر ورد قائلاً :

(آ..معلوم..ياسندي..روح..الله معك..،روح قرآ .الله ينجحك ياعمي..الله ينجحك).

تابع أبوحمد الفلاحة من جديد وما إن أتم فلاحة ثلمين آخرين حتى سمع فضل الله ينادي من كعب الكرم :

(ياتركية .. يافرنجية ...أني رايح إقرآ ..خليكن انتوا مع عمي بوحمد ديّروا وراه..أني عندي فحص بكرا).

بلع بوحمد شبلي ريقه وقال : (روح عمي فضل الله روح ياتقبرني .. الله ينجحك.. آمعلوم.. لازم تروح تقرا... كيف لكان..).

بزغت الشمس إلا قليلاً وكان صراخ بوحمد شبلي يعلو في البرية ناهرا زوج الحمير العنيدين لتلكؤهما في جر المحراث وقضمهم اغصان العنب الطرية التي تفتحت للتو.

اشتد غضب أبي حمد على الحمارين ونخزهما بالمساس عدة مرات لاعناً كار الفلاحة وفلاحة الحمير وساعتها ولاعنا حياته كلها . وبينما هو في هذه الحالة المزرية ؛ إذ بتركية وفرنجية تصيحان من بعيد وتقولان : (هيييه.. هيييه ..ياعمي

بوحمد ياعمي بوحمد ! بخاطرك ...بخاطرك ....نحنا فالين عالبيت ... بكرا عنا فحص ..بنا نروح نقرا) وتركاه وحيدا في الكرم يتصارع مع الحمير.

لم يبلع بوحمد ريقه هذه المرة ويكتم غيضه بل توقف عن الحراثة ووضع يديه على خاصرتية قائلاً : (هييه....هييه. عمي ياتركية ...يافرنجيية....وقفوا..وقفوا...استنوني شوي... استنوا. بحياتكن تاخذوا الحمارين معكن . نسيت قلكن إنو بكرا عندهن فحص كمان، وبدُّن يروحوا يقروا معكن ..يامعودين اتسبقوهنش...رايحيين بتبعيتكن ن الله راد. إجرهن على إجركن).

فكَّ أبوحمد شبلي الكدّاني والعود[1] عن الحمارين وتوقف عن الفلاحة ونخزهما نخزة قوية بالمسّاس وقال: (روحوا قرووا... ياسندي مع تركية وفرنجية وتركي وفضل الله ....بكرا عندكن فحص..الله ينجحكن...وتصيروا بأعلى المراتب[2] !!!!.... وعمرو مايكون فلاحة..نشالله !)

---

[1] العود والكداني والمساس : قطع خاصة بالمحراث والفلاحة .

[2] تصيروا بأعلى المراتب : تعبير يستعمل كثيراً على الفيس بوك .

كُثر العقل قلة عَقل

كانت بهية ذات الست سنوات، طفلة جميلة، سمراء خفيفة الظل ومؤدبة وخجولة جدا . كان كل اهلها يحبونها وأينما اصطحبوها معهم كانوا يقولون للحاضرين : (بهية ؟؟؟... بهية فش اعقل منها ...ولا وحدي مأدبي قديها...ولا أشطر منها...ليكو كيف بتقعد حد إمها وبتتحركش من ارضها). وكانت هذه العبارات تتكرر على مسامعها اينما ذهبت.

وفي إحدى الأيام أتى ابن عمتها الشاب محسن لزيارتهم فنادى والدها عليها من الغرفة المجاورة وقال لها :(تعالي يابهية سلمي على ابن عمتك ..محسن...!!!). اتت بهية وسلمت على محسن بكل ادب وجلست بجانبه وتسمرت في مكانها واطرقت نظرها في الارض كعادتها. قال والدها :

(شايف يامحسن بهية ما اعقلها... فش اعقل منها ببنات جيلها... بهية شطورة... وبتقعد حد إمها بتحركش ولا حركي... يا تكون البنات هيك ،يما بلا..).رد محسن ابن عمتها وقال:

(=هه.. هذي ... بهية ؟؟؟ بهية ياعمي فش اعقل منها بالبنات..والعقل بينشبعش منه.. ياتكون البنات هيك، ياما بلا....عاقلي...عاقلي..الحكي مش نافع...).

انفجرت بهية بالبكاء الشديد وانهمرت الدموع من عينيها وابتعدت عن محسن غاضبة وغادرت الغرفة وهي تتنهنه وتمسح دموعها بأكمام فستانها المزركش وصفعت باب الغرفة خلفها ولم تعد الى الغرفة حتى غادر محسن الدار.

قلّو : (قنطار مسك بدقنك ، قلّو كثرتو مش لخير . وكثر العقل قلة عقل)..... ماهكذا تكون الطفولة ! دعوا الطفولة تأخذ نصيبها من اللعب ولا تعاملوهم ككبار السن والعقلاء ..حقاً أننا نحتاج بعض الجنون لنعقل !

□

رحلتي الى قرية "ولغا "

حدثنا أحد أطباء الجلدية المشهورين في دمشق عندما كنا في عيادته الخاصة نجري بعض الفحوصات قال :
عندما كنت شابا يافعا في سن الخامسة عشرة من عمري، أرسلني والدي في مهمة الى قرية في جبل العرب اسمها "ولغا". ركبت باص ارسين وتوجهت مع مجموعة من الركاب جنوبا باتجاه مدينة السويداء. ولكون الباص كان بطيئاً جداً ليس كتلك التي نراها اليوم، فقد وصلنا المدينة عند مغيب الشمس. لم أكن أعرف قرية "ولغا " ولا زرتها من قبل، وكان عدد سكان السويداء في ذلك الوقت قليلاً وبيوتها متناثرة هنا وهناك ومبنية من الحجر البازلتي الاسود .
توقفت قليلا حيث توقف الباص وتلفتُّ ذات اليمين وذات الشمال علني أرى أي اشارة تدل على هذه القرية لكنني لم أعثر على أي دليل . رأيت رجلاً يركب حماراً قوياً ويحث السير باتجاه طريق يتجه نحو الغرب. قلت في نفسي لماذا لا أسأل هذا الرجل عن الطريق الى القرية . ناديته على الفور :
(هيه..هيه..بحياتك ياعم..هل تعرف الطريق الى قرية"ولغا"؟)
استدار الرجل ناحيتي وشد رسن حماره حتى يبطء المسير

وبعدها توقف قبالتي : (آ..معلوم..أني هلي بعرفها...أنا من قرية ولغا ..وهرعني رايح عليها إسا...يالله..تعال عمي...تعال نط بسرعة واركاب وراي على ظهر هالحمار) .

تنفست الصعداء وحملت حقيبتي وحاولت الركوب على ظهر الحمار لكنني لم أفلح وكدت أن أقع. قال لي الرجل (مش هيك بيركبوا على ظهر الحمار...عمي...بدك تبعد شي عشرين متر عنه وتتحما وتتزما، بعدين بتركض على قد ما الله يعطيك وبطوّح وراي على ظهر الحمار تطويح).

لم أفهم معنى كلمات ."..بتتحمّا وبتتزمّا.." كما حدث مع كلمة .."هِرعني...وبطوّح...".. لكنني ابتعدت مسافة عشرين مترا وركضت مسرعاً وقفزت قفزة في الهواء حطتني فوق ظهر الحمار. ضحك الرجل وقهقه بأعلى صوت له وقال : (عفاااك. عمي....عفاااك ... كعدّنك كل عمرك بتركب على ظهور الحمير...مع انك شامي قُحْ).

أثناء الطريق سألني عن اسمي واسم والدي واخوتي واقاربي وسبب مجيئي الى هنا، وكان بين الحين والآخر يردد بعض الاغاني الجبلية التي لم أفهم مغزاها، لكنها أطربتني.

بعد حوالي الساعة وصلنا الى القرية وقال لي هذه هي قرية" ولغا ". شكرته كثيراً وقلت له: (هل لك أن تدلني على بيت الشيخ (س) لكي اوصل له الامانة ؟؟)

قال بكل إصرار : (لاا..عمي لاااا...ابيسواش معنا هيك... أبيسواش .....إسا بدك توصل لعنا بالأول وترتاح شوي، وبعدين فيك تروح لعند الشيخ (س)..مابيصير عمي..هيك عوايدنا نحنا بالجبل، ومتل مابتعرف انه الضيف أسير المعزب). عندما وصلنا الى بيته صاح من باب الدار (يا إم محمود...يا ام محمود...جاي معي ضيوف..جاي معي ضيوف). (يامممييية حيالله....يامممممييييية حيالله..اهلا وسهلا..أهلاً وسهلاً) ردت إم محمود من جوات الدار. بعدها ترجلنا عن ظهر الحمار ودخلنا الى المضافة. جلب لي العم الطيب ابريق نحاسي مملوء بالماء وصب الماء على يدي عدة مرات لكي أغسل وجهي ويدي ومن بعدها اخذت قسطاً من الراحة متمدداً على فرش ممدودة على مايسمونه طواطي. وما كدت ارتاح حتى دخلت الزوجة تحمل طبقاً جميلاً مصنوعاً من القش الملون والمزخرف وعليه مقلى من البيض تفوح منه رائحة سمن الغنم الشهي وصحون من اللبن

الرائب والزبدة العربية والحواضر تحيط بها عدة أرغفة من خبز الصاج المرقوق الساخن .

لم أذق في حياتي أطيب من هذا العشاء ولايمكن أن انساه . اكلت واكلت حتى الشبع.. كان مضيفي يردد بين الحين والآخر: (ياحياالله بالضيف...ياحياالله بالضيف...جيرة الله عن التافري..جيرة الله عن التافري[1]).

بعد هذا الاحتفال والاستقبال الرائع قال لي :(إسا صرنا منسمحلك تروح لعند الشيخ س..بأمان الله..بامان الله).

كانت الساعة تقارب العاشرة مساءا عندما وصلنا الى بيت الشيخ"..س"...حيث وجدت نفس الاستقبال والحفاوة . عندما شعرت بالنعاس والتعب قلت لمضيفي الثاني إنني أريد النوم. أخذني الى غرفة حجرية مطلية من الداخل بالكلس الابيض الناصع ومزنرة بالنيل الازرق ومسقوفة بالربد[2] .. كانت تفوح من داخلها رائحة شتلات حبق عطرة موضوعة

---

[1] جيرة الله عن التافري : جيرة الله عن التوفير . وهي دعوة للضيف أن يأكل حتى الشبع .

[2] الربد : شرائح من الصخر البازلتي الطويلة والمتينة يميل لونها الى الأسود اللامع كانت تستعمل قديما في جبل العرب لسقف البيوت الحجرية .

في شباك ممزوجة مع رائحة الكلس والنيل الذي يبدو انه حديث العهد .

دغدغت جسمي وروحي نُسَيْماتٍ عليلة شمالية. نمت تلك الليلة على فراشين من الصوف فوق بعضهم البعض ومخدتين محشوتين بريش البرغل عليهما أغطية بيضاء مطرزة باعمال الابرة اليدوية خاطتها صاحبة البيت ولحاف صوفي عليه غطاء أبيض من المقصور والدانتيلا. لكنني لم أنم في حياتي في فرشة نظيفة كهذه ولاشممت رائحة أغطية ومخدات أزكى من ذلك.

أنهى الطبيب حديثه الشيق عن رحلته الى قرية "ولغا..". وعندما حاولنا أن نعطيه اجرة المعاينة رفض رفضاً قاطعاً أن يتقاضى أي أجر منا عرفانا منه بالجميل لذلك الاستقبال الرائع الذي لقيَه من أهل هذه القرية الجميلة لشاب يافع لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره .

ودعنا الى باب العيادة شاكراً لأهل الجبل ومعجباً بعاداتهم وتقاليدهم العربية الأصيلة.

قِنْ الدجاج

(أبيلبقلهاش "إم وهيب" إلا بدها تعمل خُمْ(قن) للجاجات).

عندما رأت إم وهيب كل نساء الحارة تهرعن لشراء الدجاج من السيارة التي كانت تجوب طرقات القرية يرافقها صوت بائع الدجاج الواهن يردد :
(بيّاض..بيّاض..جاج أحمر وبيّاض) . أسرعت للحاق بهنّ واشترت بضعة دجاجات حمروات وديك مُذهب.
تنهدت أم وهيب من الأعماق وقالت في نفسها لو كان زوجي هنا لكان بنى لي القِنْ .(الله يقطع السفر وساعتو) .
لكن فكرة اقتناء الدجاج وبناء القنّ ألحت عليها إلحاحا شديدا ولم تعد تستطيع تأجيلها حتى يعود زوجها من السفر .
في صباح يوم الجمعة ارتدت إم وهيب ثياب العمل وحملت رفشا ومجرفة وتوجهت إلى حاكورة المنزل واختارت موقعاً مناسباً في الزاوية للبناء.

بدأت أولا بتقليع الحجارة الكبيرة. حاولت مع أول حجر إلا أنها لم تفلح. ذهبت وأحضرت المُخُلْ[1] من غرفة الطحش. حفرت تحت الحجر من كل الجوانب لكنها لم تستطع اقتلاعه . كررت المحاولة ، لكن عبثا .

في هذه الاثناء كان جارها أبو زيد الثري ، المشهور في القرية بأناقته وحبه للعطورات الخليجية وركوبه أفخم السيارات، كان يراقبها من حديقة بيته الملاصقة للحاكورة .

عندما رآها على هذه الحال اشفق عليها وقرر أن يعرض عليها المساعدة. تقدم من السياج وقال:

(صباح الخير ياجارتنا..خير نشالله..بشو بلشاني كل هالبلشي على هالصبح؟).

(أجلّك الله..بدي عمر هالخُم للجاجات..انغرت من هالنسوان واشتريت كم جاجة بياضة من السيارة). ردت إم وهيب.

(اتركي هالمُخلْ من إيدك..اتركي..أني بعمّرو عنك..هذي شغلة مش للنسوان يا إم وهيب !). قال أبو زيد

---

[1] المُخل: أداة ثقيلة مصنوعة من الحديد تستعمل لإقتلاع الصخور والحجارة الكبيرة..لها رأس حاد ومدبب .

(ياباري يابو زيد..إنت كبير القدر .ياعيب الشوم منك.. أبكلفكش..معقول يعني بوزيد يعمّر خْمام !) .قالت إم وهيب.

(ان الله راد أني بدي عمرّلك الخم.انتي بتعرفي انو أني لبيتنا بعمّرش خمام ،بس اشفقت عليكي وحبيت ساعدك) .

ذهب ابو زيد الى بيته واستبدل ثيابه الفاخرة بثياب العمل وتلثّم بحرام احمر ووضع بعض العطر.

بدأ العمل بكل همة ونشاط ونجح في اقتلاع الحجارة الكبيرة وبدأ يؤسس لجدران القِن.

لم تغب ام وهيب فترة وجيزة عن عيني أبي زيد حتى عادت مسرعة تحمل كرسيا فخمة حديثة التنجيد وطبقاً فضياً عليه ما لذ وطاب من صحون المكسرات والمازوات وقارورة من البيرة الفاخرة وقالت :

(تفضل يابو زيد ارتاح على الكرسي.. تفضل بِلّْ ريقك شوي..بيكون طقطق زلعومك ..تفضل..فش شي من واجبك)

(الله يصطفل فيكي يا إم وهيب ! خُمّ وجاج أحمر وبيّاض وكرسي صالون منجدي ومكسرات وقنينة بيرا كمان ؟ عليم الله لو صحّتْ لجدي ماكنش مات ..روحي ريجعهن روحي وتفضحيناش مع الجيران . الله يسامحك على هالعملي !) .

رد ابو زيد مقهقهاً وتاركاً إم وهيب في دهشة وحيرة إذ لم تجد سببا لرفض أبي زيد هذه الضيافة الفاخرة لكنها لم تبزم بل أعادت الضيافة إلى البيت (خائبة الرجا) .

تربة وطنا مانبيعا بالذهب

المرحوم والدي الشيخ أبو حسين يوسف أبو سيف من مواليد ١٩١٤مع المرحومة الوالدة اكابر ابوسيف من قرية شويا قضاء حاصبيا اللبنانية .توفي عام ١٩٩٠.

كان رجلاً سابقاً لعصره يؤمن بتعليم المرأة وحقوقها تماماً كالرجل.بنى نفسه بنفسه من لاشيء. ربّانا على حب العلم والعمل. كان يحب المطالعة وكتابة المذكرات التي مازلنا نحتفظ بها الى اليوم ويتكلم الفرنسية بطلاقة ، ومما كتبه في دفتر مذكراته : " في حياتي المتعِبة عانيت وذقت الأمرّين ؛ حياة أشبه ماتكون بمصارعة الثيران" كما كتب على احد كتبه وبخط عريض:

"وما خلقت يانفس إلا للعلم والعمل به" إقتباس من كتاب الحكمة الشريفة . هكذا كان شعاره ، العلم والعمل به .

كان انساناً علمانياً، لكنه كان مهتماً جداً بتاريخ الأديان والروحانيات. كان يعتبر كل من الرئيس جمال عبد الناصر

والفيلسوف كمال جنبلاط والمغفور له سلطان باشا الاطرش هم من سيخلّصون الامة العربية من براثن الجهل والاستعمار.

هرب والدي من معسكر فرنسي في الغوطة الدمشقية ليلاً واختبأ في بيت شخص وجده بالصدفة في داريا ونام تلك الليلة في بيت المونة بين اكياس القمح وطناجر النحاس حتى الصباح ، حيت تم نقله مع مجموعة من الهاربين من الجيش الفرنسي خلسة الى جبل العرب . ثم مروا بصحنايا والاشرفية والكسوة وقرى حوران وأزرع وبصر الحرير مشيا على الأقدام . وحطّوا الرحال في قرية الدورْ في المقرن الغربي من جبل العرب ، تلقّفَهُ آل الشعراني الاكارم ومنهم الكابتن في الجيش الفرنسي سلمان الشعراني الذي قام بالخفاء وتحت طائلة المسؤولية بتوجيه الهاربين الى مكان سِريّ في جبل العرب بعيدا عن أعين السلطات الفرنسية.

كانت فرنسا في هذه الاثناء قد أصدرت أمراً بإهدار دم كل من يهرب أو يتعامل مع الهاربين من جيش الاحتلال . وهكذا نجى والدي من الموت المحتم بأعجوبة لإيمانه الشديد بأن فرنسا ستذهب وسوريا سوف تبقى ، وقد عاتَبه أحد المتطوعين الذين بقوا مع جيش فرنسا قائلاً: (ولك يا

أَخوَثْ حدا بيترك ليرات الذهب الصفرا وبيلحق عصبة العمل القومي المنتوفين ؟) . رد عليه الوالد وقال : (بدك ألف سنة لتعرف معنى حب الوطن والوطنية) .

شارك والدي في حرب ١٩٤٨ ضد المحتل الإسرائيلي وأُصيبَ في كفِّ يده اليسرى إصابة بالغة بحيث اصبحت شبه مشلولة بقية حياته. كم كان أبي فخورا بهذه اليد المصابة حيث كان يردد باستمرار : (أني جريح حرب فلسطين وإلي الشرف).

هل يا ترى سيتحقق حلم والدي بتحرير فلسطين السليبة في يوم من الأيام ، أم أنه كان حلما ورديّاً وأصبح اليوم في عالم النسيان ؟ ربَّ قائل سيقول: لن يضيع حق ورائه مطالب ...كلا ..لن يضيع..لن يضيع !

خميس البضات
(مدلّلي وإم ذوقان)

مدلّلي : يبعثلهن حال هالجاجات . قطشوا المقطوعين . معش باضوا ولاقشري من تلاث تشهر، يمكن من قلة القمح والسراحة بالفضا. عذمتي يام ذوقان حاصرة كثير بدي سدّك هالبضات هلي استقرضتن منك . دخلِك....إيمتا بيجي خميس البيضات ؟

ام ذوقان : خميس البضات بيصادف نهار الأحد الجاي عند بالي .
على مهلك لتسدّيني ايّاهن . من خميس لخميس مش راح نقلع عين بليس. وهلّي عندك حاصل يختي مدلّلي. اتحصريش منشانهن بحياتك ..يابنت الحلال صارت البيضة بأكثر من متين ورقة ! حلال بدين الله ؟ ..ولْ على شو كل الغلا ؟ نشالله بيكثر !

مدلّلي : هـــذا هوّ غلا يوسف الصدّيق هلّي كنا نسمع عنّو يا ام ذوقان ويمكن من دلايل القيامي الله بيعلم .

بماذا أفكر الآن

أفكّر بصمتٍ ويغمرني شعور عارمٌ بالسّعادة عندما أرى كلّ يوم رسائل من طلابي الأعزّاء الذين مازالوا يذكرونني ويقولون لي لقد جعلتِنا نحبّ مادّة اللّغة الانكليزيّة بأسلوبك الشائق. هل تعلمون أين أصبح هؤلاء ؟؟ هم اليوم منتشرون في كلّ بلاد الدنيا ؛ في أمريكا
بريطانيا، إسبانيا، ألمانيا، أوروبا، في الإمارات وهنا في سورية الوطن الأم.
منهم الأستاذ الجامعيّ ، ومنهم المختصّ في أرقى الاختصاصات الطبيّة، والمهندس، والمحامي والمعلّم، والأديب، والموسيقيّ، والشاعر والفنّان ، والممثّل، والشّيف والدبلوماسيّ، والمزارع النشيط، والتّاجر الشريف ، والموظّف النّزيه، والمغترب الذي ساهم في نهضة قريته ، والمسؤول المحترم ، ذكوراً وإناثا على حدٍّ سواء .
ألا تَرون أنّ ذلك يبعث على السعادة الغامرة ويجعل مغادرة هذا العالم شيئاً مقبولاً بعد أن عرفنا أننا قد تركنا بصمةً إيجابيّة يتذكّرنا بها الناس ؟؟
نعم إنّه شعور جميل وجميل جداً.
حقّاً إنّ مهنة التعليم مهنةٌ مشرِّفة.

وقّف....وقّف...يا شوفير !

قال مدير المدرسة : ممنوع الغياب عن المدرسة حتى لو أصبح الثلج للرّكبة .
قلنا : وكيف سنأتي إن أصبح الثلج للرّكبة ؟
قال : (تصطفلوا . تأتون دبدبة أو بالهيلوكبتر . أنا ما دخلني ، وإلا ستعاقبون بخصم أجرة أسبوع من راتب .
ماذا يعني خصم أسبوع بلا راتب بالنسبة للمعلم ؟ يعني أنه سيموت من الجوع إن لم يكن لديه مصدر دخلٍ آخر . لذلك رضخنا للتهديد ولُذنا بالصّمت .

في الصباح الباكر كان الثلج قد أصبح للركبة بالفعل والهَطل الثلجيّ مايزال مستمرّاً. لبستُ جزمةَ البلاستيك ذات الساقين العاليتين وارتديتُ معطفي وقبّعتي وتوجّهت إلى المدرسة التي تبعد مَسِيرَ نصف ساعة عن بيتي مشياً على الأقدام في الحالة العاديّة. أمّا والحالة هذه فقد أخذ معي الطريق أكثر من ساعة حيث كنت أرفع قدمي بزاوية قائمة وأضعها مجددا على الثلج كالذي يمشي مشيةً عسكريّة ، فالمشي البطيء على الثلج ليس سهلاً ، بل لك أن تتخيّل الزمهرير وانقطاع النفس وثقل القدمين .

عندما وصلتْ إلى المدرسة كان كلّ طاقم المدرسة متواجداً بدءاً من المستخدمين و وصولاً إلى الإداريين والمدرّسين. كانوا يحتسون الشاي الساخن ويتبادلون أطراف الحديث ، إلا إنّني لم أرَ طالباً واحداً لامن قريب ولا من بعيد . وهذا شيءٌ طبيعيّ إذ أنّ التلاميذ يجدون أيّام الثلج فرصة لهم للاستراحة من هموم المدرسة . كما أنّ وجود طلابٍ آخرين من القرى المجاورة، و انقطاع الطرُق بسبب تراكم الثلوج ، كل ذلك جعل مجيء الطلاب مستحيلا.

شربتُ الشايَ أنا وأختي "إنتصار"ونظرتُ إلى الساعة المعلّقة على الحائط وقد أصبحت تمام الحادية عشرة صباحاً . قلتُ لحضرة الناظر : هل تسمح لنا بالمغادرة الآن ؟ قال : (قلنا للساعة ثنتين يعني للثنتين) . لانقاش في هذا الموضوع بتاتاً . قلنا له : (طيّب.. مثل مابدك).

تركتُ كرسيّي وغمزتُ أختي أن تتبعني ، ففعَلتْ ، تغمرها سعادة عارمة وكأنّها قد أُفرج عنها بعد عقوبة . طلبتُ منها الإسراع لأن الثلج مازال يسقط وبيوتنا بعيدة ونحتاج إلى ساعةٍ أو أكثر حتى نصل إليها .

في هذه الأثناء كانت الجرّافات قد فتحتْ الطريق الرئيسة بشكلٍ جزئيّ وبدأت السيارات بالمرور ببطء شديد على الطريق الزلقة. وما إن عبرنا بوّابة المدرسة حتى رأينا من بعيد طقطيقة ذات ثلاثة دواليب تعبر الطريق تدبّ على الأرض كدبيب النمل خوفاً من الإنزلاق . عندما اقتربنا منها طارت أختي من الفرح وقالت لي : (طيري..طيري..هذا يوسف جارنا) وصاحت بأعلى صوتها : (هيه..هيه...وقّف...وقّف... يا شوفير . بحياتك وقّف ! بلكي تركّبنا شقلي عالبيت بهالجو العاصف) .

(معلووم..معلوم...تفضّلوا اطلعوا لوصلكن ..تكرموا.. تكرموا) . رد يوسف بمرح وهو يرتجف من البرد .

صعدتُ أنا وركبت على يمين السيد يوسف وركبت أختي على شماله . وما إن تحرّكت الطقطيقة ببطء على يمين الطريق وقطعت مسافة لاتتعدى المتر حتى رأت أختي "إنتصار" تاكسي فارهة تبهر الناظرين إليها آتية من المدينة ومتجهة جنوبا باتجاه القرية . تململَتْ "إنتصار" و(لكشتني) من خلف ظهر يوسف على كتفي لكشة قوية وغمزتني مشيرة إلي أن أنزل من الطقطيقة فوراً . طاوعتها ونزلت من دون

تقديم أي اعتذار للسيد يوسف أو تفسير سبب نزولنا ، وتركناه مذهولاً .

أمسكتْ أختي بيدي وشحطتني باتجاه السيارة الفارهة ثم أشارت للسائق الأنيق بكلتا يديها أن يتوقّف . وهمست في أذني بفرح عارم : (وِلِكْ هذا موَفق جارنا. مبارح إجا من الكويت وجايب معه هالسيارة الفخمة) . توقّف "موفق " وأنزل زجاج نافذته مبتسما .

سارعت "إنتصار" بالقول : (الحمدلله على سلامتك ياجار ...كيف الكويت وأهل الكويت ...بنا نكلّفك خيي موفق توصّلنا عالبيت).

(معلوم يختي.. راح وصلكن ونص كمان . على راسي وعيني) . ردّ موفق بكل سرور.

تَعنّقَتْ أختي "إنتصار" في المقعد الأمامي وركبتُ أنا في الخلف. أنزلنا السيد موفّق في الساحة العامة بسبب صعوبة الطريق.

قلت لأختي معاتبة : لماذا تصرفتِ هكذا مع السيد يوسف ؟ أليس ذلك عيباً ؟

قالت : (يختي سلمى ..هلّي بيركب بسيارة كويتيّة مش مثل هلّي بيركب بطقطيقة إم تلاث دواليب . مش كل يوم الله

بيبعثلنا سيارة بمثل هالفخامة . ومش كل يوم جحا ذابح بقرته) . قلت لها : (ماشاالله وكان على هالجواب.. عذر أقبح من ذنب !) .

شكرنا السيد موفّق على خدمته لنا وودّعناه بالدعاء له بالتوفيق وأوصته أختي مجدّداً : (أماني عليك ياموفّق .. أماني ...كل يوم تعال ، وحرام عليك إذا بتقول لأ).

غرّدَ خارج السّرب

كان" برهان " من أذكى طلاب الصف بل ويختلف عنهم ، لم يكن يعجبه كلّ مايجده في المناهج المدرسيّة وكانت مادّة الفلسفة من أحبّ المواد إلى قلبه ، وكان يجادل أستاذه كثيراً في درس الفلسفة ويحاوره ولايوافق الأستاذَ على كل ما يسوقه من أفكار الفلاسفة والمفكّرين لدرجة أنّ الأستاذ "ركان" ملّ من كثرة أسئلته وصار لايأبه له سواء حضر الدرس أم لم يحضر ، بل إن عدم حضوره كان يجلب له الراحة ويجعل الدرس يسير كما هو مخطّط له .

حان موعد تقديم المذاكرة كالعادة .

استلم "برهان" ورقة الأسئلة وبدأ الإجابة عليها سؤالاً سؤالاً وبكلّ اهتمام وشغف ، وكان آخر طالب يغادر قاعة الامتحان . لقد كتب وكتب حتى لم تبقَ زاويةٌ من الورقة أو سطرٌ إلّا وامتلأ بالإجابات .

عندما وزّع الأستاذ الأوراق والعلامات على الطلاب في اليوم التالي لم يذكر اسم برهان بين أسماء الطلاب الناجحين .

رفع برهان يده وسأل المعلم عن ورقته وعلامته وهو يعتقد أنّه قد أجاب على كل الاسئلة و(طلس الورقة طلس) بالأفكار.

قال المعلم بكل استهتار: أمّا بالنسبة للعلامة يا برهان، فلقد أعطيتك علامة واحدة فقط لاغير من أصل أربعين علامة كدرجة قصوى.(أجرة إيدك فقط ومنشان الحلال والحرام) . صحيح أنك طَلستْ الأوراق طلس بالافكار والإجابات الغريبة العجيبة ... (بس فش ولا كلمة من الكتاب ..وكلّه من عندك ومن بنات أفكارك) .

أصبح "برهان" من الفلاسفة المهمين وبقي الأستاذ "ركان" يركن إلى ما جاء في الكتب المدرسية يعيدها ويلقّنها لتلامذته ويذكّرهم دائماً بالعلامة اليتيمة التي أعطاها للطالب "برهان" في امتحان مادة الفلسفة الذي أُجري في ثانوية "مدينة الشمس النموذجية" .

حِبرٌ على ورق

بعد أن أعيتهم الحيلة لإتمام أعمال المنزل لكثرتها وتنوّعها، وكثرة عدد الأولاد من الذكور والإناث وعدم وصول التكنولوجيا إلينا في ذلك الزمن مثل الغسّالة ومكنسة الكهرباء والتلفزيون وماكينة الكبّة ومطابخ حديثة تحوي المجلى والجلاية وأطقم الصحون وغيرها .

قرّرت العائلة أن تعقد اجتماعاً طارئاً تحت رعاية والدتي وبحضور شقيقاتي الخمس . كان برنامج الاجتماع يتضمّن توزيع العمل بيننا نحن الإناث بالعدل حتى لايلحق الغبن إحداهن وتقوم المعايرة ، وهذه تقول:(أني اشتغلت أكثر منك ، وتلك تقول: أني كل الركركي عليي، واني مظلومي) ، ومن هذا الكلام.

وبعد المشاورات والأخذ والعطاء والمناقشات الحادّة أسفر الاجتماع عن مجموعة من القرارات الهامّة وتعهدت العائلة أن تُطبق كلّ بند من هذه البنود بكل أمانة وإخلاص، وتمّ تقسيم العمل بينهم كما يلي :

١.انتصار تطبخ وتجلي الجليات

٢.سلمى تكنس أرض الدار وتغسل الغسيل ،تنشره ،تضبّه عن الحبال ،تطويه وتعيده إلى الخزانة .

٣.سهى تطعم الدجاجات والعنزات وتنظف الأحذية.(كنت أتبادل المهام مع سهى بالقيام بعمل ماسح الأحذية).

٤. منى تلاعب الاطفال الصغار.

٥.ندى تذهب إلى الدكان لتشتري حوائج البيت، وبذلك تكون أكثر واحدة فينا تمتّعت بالحرية.

٦.الأم تعمل كما يحلو لها ولاتُكلّف بأيّة مهمّة إلا ماطاب لها.

٧. يُعفى الاولاد الذكور من أعمال المنزل إعفاءً كاملاً ، لأنّهم كانوا يساعدون الوالد في أعمال الزراعة.

قامت إنتصار بكتابة البرنامج على ورقة كبيرة وعلّقتها على الباب من الداخل. التزمت العائلة به لعدة أيام . من بعدها عادت الأمور إلى ما كانت عليه ورجعت حليمة لعادتها القديمة .

أما الورقة فقد بقيت معلّقة على الباب طيلة تلك السنة ولفّها غبار النسيان .

□

وِقعوا بإيدك هالقرشين ؟

في يوم من الأيام ذهبت للتسوّق من سوق القرية القريب من بيتي . اشتريت لوازم البيت بحيث تكفي لمدّة أسبوع وهممْتُ بمغادرة المحلّ لكنّ عينيّ مازالتا على واجهة المحل المخصّص للعصرونيّة. رأيت مقلاة تيفال جميلة ذات غطاء زجاجي كُتب عليه " لاتلصق أبدا". أعجبتني وقررت أن أشتريها لولا أنني اكتشفت أنه لم يعد لدي المبلغ الكافي لشرائها . عندما رآني البائع (أتمقّل القلّاية) من كلّ جوانبها قال لي : أنصحك أن تشتريها الآن لأنها ستصبح أغلى بسبب تقلّب الأسعار وارتفاعها، كما أنها آخر قطعة عندي. أثناء حديثي مع صاحب المحل دخل جارنا أبو صياح لشراء بعض الحاجيّات . قلت في نفسي :

(إجت والله جابها) .سوف أستقرض المبلغ منه وعندما أصل البيت سوف أُعيده إليه مع إبني طالما الناس خلقت لبعضها.

طلبت النقود من أبي صياح وأعطانيها، أربعة آلاف بالتمام والكمال، بعد أن قال لي : (تكرمي ياجارتنا . كلّ المصاري على حسابك) . حملت أغراضي وكلّي فرح عارم لأنّني سأقوم

بقلي البيض اليوم لأولادي في مقلاة لاتلصق أبدا وسوف أستريح من عناء تنظيف مقلاة الألمنيوم البائسة وفركها بالسيف لإزالة بقايا البيض اللاصق .

أسرعت إلى البيت وأخذت طريق فرعية لأتجنب المزيد من أشعة الشمس الحارقة . وما إن وصلت إلى بوابة مدخل بيتي حت تراءى لي زوال رجل يدق على باب المضافة . اقتربت أكثر لأرى من يكون الزائر في عز الظهر . ويالها من مفاجأة ! كان جارنا أبو صياح قد سبقني إلى بيتنا ينتظر بفارغ الصبر قدومي وقد بدا عليه الإرتباك والقلق . زادت لهفتي وقلت خائفة:(كفى الله شرك ياجار . خضيتيلي قلبي..خير..خير..شو في) قال بصوت خفيض : (جيت إسألك إذا وقعوا بإيدك هالقرشين !).

فلافل حلبية

اتفق الشاب ساهي مع ثلة من زملائه في جامعة حلب أن يقضوا ليلة رأس السنة الميلادية عنده في الغرفة المستأجرة في قلب المدينة . أصرّ أن تكون السهرة على حسابه الخاص . تركهم في البيت وكان عددهم يقارب العشرين وذهب إلى مطعم ابو العز ليجلب السندويتش والكولا. قال ساهي : أريد أربعين سندويشة فلافل على كيف كيفك ياعم !

ابو العز : (على راسي طلاباتك ياجميل . تكرم تكرم لك خاي!). وبدأ ابو العز بتحضير السندويتشات وهو يردد بعض أغاني صباح فخري الجميلة . استغرق هذا العمل جهدا ووقتا كبيرين وتصبب العرق من جبين ابو العز والشاب ساهي مازال ينتظر وأصبحت عصافير بطنه تزقزق من الجوع. كاد ابو العز أن يتلاشى ولم يعد باستطاعته رفع يديه عن الطاولة واحدودب ظهره وزاغت عيناه .

انتهى ابو العز الآن من لف السندويشات الأربعين ونادى على الشاب ساهي متسائلاً : (ماقلتلي لَك خاي . بدك تاكلهن هون السندويشات ولا بدك تاخذهن عالبيت ؟ ضحك ساهي وقال :(زكاتك .....بدي آكلهن هون يا خيّ) .

تطيُر

هل تسمعون مثلي أصوات الرياح العاتية؟ إنها تصفر بغضب مخترقة شقوق الأبواب المهترئة وتعوي كذئبة فقدت وليدها في البريّة. هل جئت يا نيسان هذا العام لتنذرنا بالشؤم على غير عادتك ؟ ماذا حلّ بأزهار اللوز والمشمش والدراق وبراعم التفاح ؟ ثلوج في كل مكان . درجات حرارة متدنية اقتربت من الصفر. غبار كثيف لدرجة انعدام الرؤية. سماء صفراء مكفهرة معكرة لدرجة وضع الكِمامات .

كان رحيلك يا أبي في مثل هذا اليوم من عام ١٩٩٠. أنت الذي ربيت أسرة كبيرة وورثتنا حب العلم والعمل وبنيت نفسك من لاشيء ..بالإرادة والتصميم والإيمان بالله . سيظل طيفك يرافقني وروحك تنير لي الطريق وذكراك العطرة ستتفتح مع تفتح زهور الجلنار والياسمين كلما حلّ الربيع وعاد شذى نيسان .

قسمي ..ونصيب

خطب " درويش" عروسا جميلة أسمها "تركية" ، لكن بعد أن تعارفا أكثر ثَبُت لتركية أن درويش ليس فارس أحلامها الذي كانت تنتظره لذلك قررت فسخ الخطبة .لكن درويش لم يتقبل الأمر مطلقا ولم يعترف أمام الناس أن تركية قد رفضته وهو الشب (الأشبهي) الذت تتمناه كل صبايا القرية . كما أن أهل الضيعة لم يتركوه لخيبته بل كلما رأؤه كرروا عليه نفس السؤال : (ليش بطّلت عن تركية يادرويش) ، وفي كل مرة يجيبهم : قسمة ونصيب ..قسمة ونصيب .

أما صافي جاره الحشري فقد أحب أن يستفزه أكثر وأعاد عليه السؤال مرة ثانية وثالثة وقال : (ليش تركت تركية البنت الأشبهية يادرويش) . نفذ صبر درويش هذه المرة وقال: طيب ..تعال لقربها لعقلك شوي ياصديقي ياصافي. إذا إنت اشتريت مسبحة وهالمسبحة تعبتك ، أو إذا اشتريت جريدة وهالجريدة ما فهمت شو مكتوب فيها ؛ بتزتّها وبتتركها . وإذا اشتريت علكي وعلّكت فيها وتعبتلك سنانانك . بتبصقها . مش هيك . وإذا درويش خطب تركية وتركية

وجعتلوا راسو وماطلعت قد القضية ..شو بيعمل درويش يا صافي ؟ بيزتها وبيتركها ..مش هيك . فهمت ليش درويش ترك تركية، ولا بعد بفهّمك) . رد صافي وقال : إسا فهمت ودارت لعقلي . الله يبعتلك شي وحدي سورية وبلالك من تُركية هلي جابتلك وجع الراس . صحيح يادرويش إنو الجازي قسمي ونصيب ...قسمي ونصيب) .

حسين أبو سيف.. "الفنان المَنسي"

أخي المرحوم حسين ابوسيف من مواليد ١٩٤٠. أُوفدَ من قبل الحكومة السورية لدراسة الأدب العربي في القاهرة . وافته المنية وهو في ريعان الشباب ١٩٦٧.كان اول شخص يقتني آلة موسيقية في قرية الكفر وهي آلة الأوكورديون.

لم يكن ذلك شيئا مألوفا في ذلك الزمن بل ربما كانت الموسيقا بحد ذاتها من المحرمات ، كما لم يكن أي وجود للكهرباء ،الأنترنت أو التلفزيون أو أي شيء مما نراه الآن. لكن الموهبة التي يعطيها الله للإنسان تأبى إلا أن تتفجر كينبوع ماء عذب من تحت الصخور متحدية كل الظروف والصعاب . لقد بَرعَ أخي المرحوم في ذلك الوقت بعزفه مقطوعات لعبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الاطرش ومحمد عبدالمطلب وغيرهم من عمالقة ذلك الزمن الجميل. كان يزوره المرحوم فهد بلان مصطحبا معه آلة العود في بيتنا الحجري القديم في قريتنا الجميلة ويعزفان ويغنيان معا. لم يكن فهد بلان معروفا في ذلك الوقت على الساحة الفنية ، كما لم يكن يوجد في ذلك الوقت أجهزة تسجيل ليسجل

أخي الراحل معزوفاته الرائعة. حتى أن آلته الموسيقية التي عشقها قد ضاعت وأختفت ولفّهَا النسيان ....واأسفاه!!!! لكن يبدو أن الارواح لاتغادر هذا العالم بمجرد مغادرة أجسادها وجينات الوراثة المذهلة تنتقل من جيل إلى جيل . لا أصدق كيف بعثت روح أخي البكر لأمي وأبي من جديد. شيء مذهل ان تعيد السماء ألحانه المنسية على ايدي مجموعة من إخوته وأخواته وأبنائهم ، وكأن روحه قد فاضت وانبثقت في تجسدات جديدة ؛ مجموعة تعشق الفن والموسيقا .

رحمك الله يا أخي. هذه روحك تُبعث بيننا،والحانك الجميلة مازالت تتردد على مسامعنا وإن بآلات حديثة وإسلوب جديد.

للتاريخ فقط

لقد كثُرت الروايات وتعددت حول استشهاد البطل مصطفى الأطرش شقيق المغفور له سلطان باشا الأطرش قائد الثورة السورية الكبرى في معركة الكفر الشهيرة عام ١٩٢٥ .
والحقيقية أن مصطفى الأطرش أُصيب إصابة بالغة في ساحة المعركة نُقل على أثرها من قبل بعض الثوار إلى بيت شيخ القرية أسعد مرشد بعلمٍ من الباشا، حيث وافته المنية في اليوم التالي .
أرسل المجاهد عبدو مرشد على الفور من قبل الشيخ إلى قرية قنوات حيث كان سلطان الأطرش في إجتماع مهم مع الثوار لتقييم الموقف بعد المعركة . كان على الشيخ عبدو مرشد أن يخبره بوفاة أخيه .
كان الباشا يجلس في صدر المضافة التي كان يجري فيها الإجتماع عندما شاهد خيالاً يشق الغبار مُقبلاً من بعيد . ترك المقعد وخرج من المضافة مسرعا ليستوضح الأمر . عندما أصبح على مقربة من الخيّال المبعوث من الكفر بادره بالسؤال فوراً : (شو أخبار ضيفكن) ؟ أجاب الفارس

عبدو مرشد على الفور : البقية بحياتك ياباشا . رد الباشا من فوره : (الله يرحمه ..إلو بسعر هلّي استشهدوا). وعاد لتكملة الإجتماع .

هذه الرواية نُقلت عن الخيّال عبدو مرشد نفسه الذي أبلغ الباشا عن وفاة أخيه الشهيد مصطفى الأطرش .

هنية وعافية

زار أحد تجار دمشق إحدى مضافات جبل العرب بغرض المبيت لليلة واحدة ومن ثم الإنطلاق إلى قرى الجبل لإتمام بعض الأعمال التجارية الهامة . وصل المضافة عند مغيب الشمس وبدء حلول الظلام . كان الرجال يجلسون جنباً إلى جنب على طواطي حجرية عريضة عليها فرش ومخدات صوفية للإتكاء والإسترخاء . وما إن دخل الشامي المضافة ووضع قدمه داخل بابها المشرعٍ للضيوف دوما ، وألقى تحية المساء عليهم حتى بدأت السلامات ورد التحية تنهال عليه مثل زخ المطر :(مسيكن بالخير ياضيف...مسيكن بالخير ياضيف الرحمن ..مسيكن بالخير..) .

كان من واجب المعزُب أن يظل واقفا يؤهل ويُمسي على الضيف طالما لم يطلب منه الضيف الجلوس حتى لو ظل واقفاً لساعات. قال المعزب موجها التحية للضيف : قلنالكن مسيكن بالخير ياضيف الرحمن ؟)

رد التاجر الشامي وقد نشف ريقه من كثرة رد التحيات : (إنتي بالزات صرت آايلّي مسيكن بالخير ألف مرة). ظل المعزب واقفاً .

ساد الهرج والمرج في المضافة مرة أخرى . شعر الضيف بالعطش الشديد . انسلّ بهدوء خارج المضافة ليشرب الماء خلسة حتى لايراه كل من في المضافة وتبدأ المجاملات من جديد والردود . لم ينتبه للصبي اليافع الذي رآه يشرب الماء بطاسة النحاس الموضوعة على الخابية . دخل الضيف إلى المضافة وجلس مكانه في صدر المضافة . لحق به الصبي اليافع وقال : هنية وعافية ..هنية وعافية ياعمّ). وما إن سمع المسايير ماقاله الشاب حتى أنهالت التهاني والمباركات بشرب الماء وردد كل واحد في دوره : هنية وعافية..هنية وعافية..هنية وعافية) .

وضع التاجر الشامي يداه على أذنيه وبدأ يجيب بشكل عشوائي : هداكم الله...هداكم الله ...هداكم الله .

تهريب الحمير

كان أبو الفضل رجلاً شديد الذكاء والدهاء يعيش في قرية جبلية نائية ،لا يوجد فيها مصادر رزق تذكر. كان الناس يزرعون في المساحات القليلة الضيقة التي تحيط بها الصخور والحجارة من كل جانب،بعضا من شجيرات تين..أو عنب..أو ماشابه. ويزرعون بجانب بيوتهم بعضا من أنواع الخضروات لسد رمقهم من الجوع ، لذلك فكر ابو الفضل بطريقة يستطيع فيها كسب المال لتحسين معيشة عائلته واولاده. كان عليه ان يأتي بحماره كل يوم ويضع عليه خرجا كبيرا يملؤه بالتبن والقش ويخرج راكباً عليه من البلدة متوجها الى المدينة، وكان عليه ان يمر كل مرة بدورية تراقب المهربين وتقوم بتفتيشهم. وفي كل مرة كانت الدورية توقف ابا الفضل وحماره،لأنه كان يبدو عليه أنه مهرب عريق، وتفتش الخرج بدقة كبيرة ، حتى أنها كانت تفرغه من التبن وتنقعه بالماء ومن ثم تقوم بتجفيفه وحرقه.لكن عبثا ! كانوا لا يجدون شيئاً البتة ،ثم إنهم كانوا يفتشون ثيابه قطعة قطعة ، جيوبه ونعليه والنتيجة دائماً هي هي..لا يوجد شيء.

بقي ابو الفضل على هذا المنوال فترة طويلة من الزمن.وفي احدى الايام بينما كان يتجول في المدينة مع حماره كالعادة، إذ به يصادف واحدا من الحرس الذين كانوا يقومون بتفتيشه وكان هذا الحارس قد ترك عمله وأحيل على التقاعد منذ سنوات.دهش الحارس كثيراً لرؤيته ابا الفضل راكباً حماره كالعادة. اقترب منه وسلم عليه بحرارة وقال له : هل لك أن تقول لي ماذا كنت تفعل في كل مرة تذهب فيها الى المدينة،وانت لا تأخذ معك إلا خرجا مملوءاً بالتبن والقش مع أننا كنا متأكدين انك كنت مهرباً كبيراً، لكننا فشلنا في كل مرة أن نجد معك أي شيء. كم أود أن أعرف الحقيقة منك الآن قبل ان يوافيني الأجل. ضحك ابو الفضل ضحكة ساخرة وقال : نعم كنت اشتغل بالتهريب. فغر الحارس فاه من شدة الدهشة وقال : هل هذا معقول ؟؟ لكننا كنا نقوم بتفتيشك كل مرة بدقة بالغة من رأسك حتى اخمص قدميك انت وحمارك. هل هذا معقول يارجل ؟؟ رد ابو الفضل وقال : نعم ياسيدي. الأمر أسهل بكثير مما تتصور .لقد كنت أقوم بتهريب الحمير.

سرديات عمك بو خزاعي

بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور،قررت الحكومة الفرنسية كالعادة أن تقيم عرضاً عسكرياً احتفالاً بهذه المناسبة التاريخية العظيمة التي هزت العالم.

كلنا يعلم ان الانكليز جندوا كثيرا من شباب جبل العرب للخدمة في صفوفها. كان من بينهم ،(عمك بوخزاعي) الذي عمل ضمن صفوف هذا الجيش بما يشبه عمل الممرض. يداوي الجرحى، يعطي حقن دوائية ويرافق الجنود الى جبهات القتال.

كان يعود الى القرية مزهوا بعمله هذا بعد ان اطلق على نفسه لقب دكتور ويقول: (عمكن الدكتور بو خزاعي عمل العجايب بالحرب مع الانكليز).لقد انقذت من الموت عددا لايحصى من الجرحى.

في إحدى ليالي الشتاء الباردة كان العم بوخزاعي يسهر مع مجموعة من أصدقائه في مضافته الحجرية الصغيرة على ضوء مصباح كاز خافت يتحلقون حول ببّور حطب مليء بالجمر يبعث الدفء والإسترخاء في أجسادهم المتعبة . كان

الكل ينتظر بفارغ الصبر حكايات العم بوخزاعي وتحليقاته في عالم الخيال وخبرياته عن جيش فرنسا والحلفاء التي لاتنتهي . وبسرعة خياله الخصب تفتقت قريحته عن هذه القصة العجيبة . قال : (وقتلُلي بعثلي الجنرال ديغول برقية مستعجلي منشان أحضر العرض العسكري بباريس بمناسبة أنتصار الحلفاء بالحرب العالمية الثانية ، حاولت إعتذر لكن الجنرال ماقبل إعتذاري وأصر عليّ إصرار شديد إني أحضر . ضربت خماسي بسداسي وقلت ياولد ليش لمنك ماتحضر ..لازم تلبي طلب الجنرال . وهيك شغلي بتخليك تدخل التاريخ من أوسع بوابو .وبالفعل يا إخوان ماكذبت خبر وبوجهي ثاني يوم على مطار الشام ،،ووينك ياباريس ! وما تشوف عينك يومن وصلت على مطار باريس كيف كان الجنرال "ديغول" بذات نفسو مع مجموعة من كبار الضباط والأعيان في استقبالي . ضمني الجنرال بالأحضان وومشيت أني على يمينه والمرافقة صارت ورانا ..والموسيقا العسكرية عبتصدح .. ياغانمين ..شي بقشعر شعر البدن ... ومن هون ومن هون بلش الهتاف والتصفيق وصرت إسمع هالفرنساويين عبيسألوا بعضهن بالفرنساوي : دخلكن من هو هالشب الأشبهي هلي ماشي مع الدكتور بوخزاعي ؟ وردت

وحدي فرنساوية شقرا بتاخذ العقل وبصوت عالي وعلى مسمع من الكل : ولووّ...إسا بطتلتوا تعرفوا...ياعمي هذا الجنرال ديغول ...هلي ماشي مع الدكتور بوخزاعي .الجنرال ديغول !!)..

وحياة الجنرال والحلفاء ومين جمعنا بهالليلي المباركي إنو هيك صار وهيك جرى ...وعمكن بوخزاعي مش بس دكتور شاطر وأشبهي وشخصيي،كمان بلبل بالفرنساوي وبالإنكليزي)

نظر حفيد بوخزاعي الصغير إليه نظرة إستنكار قائلاً : جدّي ...ياجدي..!!.

عملي عاطلي...
وبس !

باللهجة العامية

كان يا مكان في حديثٍ من الزمان وليس قديمه ، رجل مزنوق كثير ومحتاج لمصاري منشان امر مهم جدا وطارىء قام برم البلد طول وعرض ، ووجه وقفا . على الاغنياء والميسورين بالأول ،ماكان يلاقي حدا يقرضو المبلغ المطلوب،وبعدين وهو راجع على البيت مكسور الخاطر وزعلان ومكتئب وعبيلعن الساعة هلي إجا فيها على هالدنيا،إذ برجل درويش فقير الحال يمر بجانبه. قال الرجل المزنوق لحالو : بدي جرب حظي وأطلب من هالفقير يقرضني هالمبلغ . بلكي بتضبط معي، مع انو كان على يقين إنه هالمسكين فقير الحال والمال .لكن ،ولدهشته، وبعد ان تجرأ وطلب منه المبلغ، قلّو الرجل الفقير : معلوم..تكرم..هذا واجب والناس خلقت لبعضها ، وقام شال من جيبته المبلغ المطلوب وعطاه إياه. لكن زبون العوافي هلي استقرض المبلغ أصر إصراراً شديداً على الرجل الفقير إنو يكتب فيهن سند أمانة. قال شو : الدنيا فيها موت وحيا ، والدنيا مابتغني عن الآخرة.

وبعد إلحاح شديد وافق الرجل الفقير على كتابة سند أمانة بالمبلغ..وقلّو : روح ياخيي. عليك الأمان. بس يصير معك مصاري بتسدني المبلغ. إصحك تعوّز على حالك .
يامعود.روح .
راحت الإيام ، ومرت الشهور والأعوام، وسجلت الروزنامة عشر من السنين بالعد والتمام، ولم يُعيد زبون العوافي المبلغ الى الرجل الفقير. ومثل ما بتعرفوا إنو الانسان لسانه قصير بحق نفسه، واستحى الرجل الفقير يروح هو بذات نفسه يطالبو بالمبلغ. منشان هيك صار يبعثلوا مع فلان وعلتان منشان يجنبو الإحراج، لكنه لم يُفلح باسترجاع ماله المستدان .مرة يقلّو : بكرا ،ومرة يقلّو صبرك وجميلك عليي كم يوم . وفشل الرجل الفقير في استرجاع ماله ؛ منشان هيك قرر ارسال ابنه الشاب منشان يطالبه بالمبلغ.
قال الشاب : عمي بقلّكْ بيّي منشان تسدنا هالمصاري. ولو عمي تخنت الشغلة كثير ،والمبلغ صرلو عشر سنين .عيب عمي ، عيب !!!
غضب زبون العوافي وقال: عمي ! مش عيب عليه بيّك باعثك تستد المصاري وانتو عظامكن عبتّهُرْ ذهب ومصاري

هَرّ ؟؟..روح عمي روح قلّو لبيّكْ..أفَهْشْ معي سدّو ولا متليك مصدّي !

قال الشاب: بس، عمي المبلغ فيه سند أمانة وانت كاتبه بإيدك وموقع عليه..وما بتقدر تنكر هالشي !!

قال الرجل: سند أمانة شو ؟؟؟ روح عمي ،روح. روح انقعو وشراب مياتو وتنساش تسقي بيك منهن كمان.روح فش إلكن عندي شي !

قفا الشب بظهره ورجع عالبيت مقهور وزعلان ، لأنو سند الأماني صار بخبر كان وضاع بطيات النسيان. وهيك صار وهيك كان.

في حديثٍ من الزمان جداً .

أحـــلام صغيرة

تذكرت اليوم وانا اتجول مع ابنتي في مولات دبي والعين وشوارعها الفسيحة والشديدة النظافة ..وما شاهدته من تكديس كبير لايتصوره عقل لكل انواع السيارات الفارهة والمطاعم والبوفيهات والاستراحات التي تصدح فيها الموسيقا الغربية..والخليجية....والحدائق الغناء .. واشجار النخيل الباسقة.. والبضائع والملبوسات والمفروشات والمكتبات وأسواق الذهب والفضة..والعصرونيات ومافيها ... والمأ كولات والمشروبات والزينات والألعاب والعطورات والبخور.. والزهور على الطرقات من كل ماخلق الله من الوان وعطر فواح....وكل مايخطر ومالايخطر على بالك..او ربما حلمت به او رأيته في منام... بحيث أنك لو طلبت لبن العصفور لوجدته...تذكرت صديقاً لنا في أيام الشباب كان ينتمي الى بيت فقير الحال والمال.. لكنه كان ذكياً ورومانسياً وشديد الحساسية ، وقد أصر أن يواصل تعليمه بالرغم من انه كان لايملك ليرة سورية واحدة ليدفع أجرة الطريق.

قلنا له لماذا كل هذا الإصرار على متابعة التعليم.. وأنت أدرى الناس بحال أهلك ووضعهم المادي..أليس من الأجدر

بك ان تذهب الى لبنان وتشتغل بالفاعل هناك لكي تساعدهم على التغلب على شظف العيش؟؟ أجابنا بقوله والحسرة والحزن باديان على وجهه : هل تعلمون لماذا أريد أن اتعلم ؟ قلنا له لماذا يا "سالم" ؟؟ قال :" حلمي أن أكمل تعليمي وأصبح موظفا واستلم راتبي آخر الشهر ثم أذهب الى السوق وأشتري صفط راحة وعلبة سردين و(آكلهن لحالي) .

ميثاااا...ياميثاااا

وعد "بو معذى" زوجته "ميثا"ان يأخذهاالى دمشق لكي يُريها كل بوابات المدينة الشهيرة .

كان ذلك اليوم مناسباً ليَفي بوعده إذ الطقس ربيعي لطيف ومنعش .

التحقا باكرا بالباص الوحيد الذي يعبر جبل العرب من اقصى الجنوب ماراً بمدينة السويداء ومنه الى دمشق ناقلاً معه كل الركاب المتواجدين في ساحات هذه القرى .

عندما نزل الركاب في كراجات السويدا الموجودة في وسط مدينة دمشق ،

قال بو معذى : (ليكي يامرا ،مش كل يوم جحا ذابح بقرتو . بدي دوّرك الشام حُكر ووكر، ن الله راد ..بتستاهلي ياميثا..بتستاهلي !)

قالت ميثا : (ما بتقصر يازلمي. أقل عمايلك وفضلك سابق !).

توقف باص النقل الداخلي، وكان مليئاً بالركاب.

صعدت "ميثا"وصعد بو معذى خلفها .لم يجدا أي مكان مكان فارغ في الباص لذلك

اضطرت "ميثا" أن تأخذ مكان أحدهم قبالة السائق مباشرة، بينما اضطر "بو معذى" للوقوف في مؤخرة الحافلة

تمسك "بومعذى" بقوة باعمدة الحافلة المعدنية كي لايقع ، بينما بقيت عيناه على زوجته "ميثا".

اكتظ الباص بالركاب اكثر واصبحت ميثا بعيدة جداً عن "بو معذى" وبالكاد استطاع رؤيتها بين الجموع . كان ينقل ناظريه بين الطريق والامكنة المهمة التي سيعرف "ميثا" عليها .

تحرك الباص بتثاقل بين الحارات الدمشقية .

صاح بو معذى من خلف الجموع :

(ميثا...يا ميثا..؟)

(نعم..نعم...يابو معذى...شوباك ؟).جاوبته "ميثا" بأعلى صوتها.

(ليكي ..ليكي...هذا باب مصلّى!).

(عنجد ؟ باب مصلّى ؟يالطيف ما اهيبو! هون بيصلّوا مش هيك يابو معذى؟).

حاولت "ميثا " أن تمد رأسها من النافذة لتتفرج .زعقَ بو معذى :

(ميثاااااااا..يا ميثاااا...هذا باب الجابي!).

(عنجد عبتحكي.).

مدت ميثا رأسها من شباك الباص فرحة وتمقلت المكان.

(آ..آ..يابو معذى...شفتو..شفتو).

تابع الباص التنقل في حارات جديدة.

صاح "بو معذى" من مؤخرة الباص صيحة أجفلت كل من كان فيه.

(ميثاااااا..ياااا ميثا...هذا باب توما).

ردت ميثا بصوت عالي :(هذا..باااب توما.....عن جد عبتحكي؟..ياريت..منزل نتفرج عليه شوي ..يابو معذى...شو رايك؟).

عاود بو معذى العياط من جديد والدهشة تغمره .
(ميثاااا...يا ميثاا..هذا باب شرقي!)
نظر الركاب في وجوه بعضهم البعض تارة وتارة اخرى في وجه "بو معذى" وزوجته "ميثا" مستغربين هذا الحوار المزعج عن بعد بينهما .لكنهم لاذوا بالصمت فإسكاتهم ليس من شأنهم.
توقف الباص في محطة اخرى لإنزال بعض الركاب.هنا صاح بو معذى لكي يرى "ميثا" مطاولاً رأسه ورقبته من فوق رأس راكب ملتحي واقفا امامه جفِل عند سماعه الصرخة وكاد ان يسقط على الأرض.
(هيه...هيه...ياميثاااا...سامعتيني..ولا لأ . هذا باب الحارة)
(باب الحارةماغيرو يابو.معذى) وافتر ثغرها عن ابتسامة تنم عن سعادة من وجد شيئا غاليا طالما بحث عنه .
(ووينو بو شهاب ومعتز. خلينا نمرق نسلم عليهن . شو رايك يابو معذى ..شو رايك ؟)
لم يعد باستطاعة سائق الباص ان يتحمل هذا الحوار اكثر حيث أخذ منه الغضب كل مأخذ وضاق ذرعا بميثا وزوجها بومعذى وحوارهما المزعج.

ضرب فراماً قوياً واوقف الباص في منتصف الطريق ونظر الى "ميثا" والشرر يقدح من عينيه وصاح بلهجته الشامية مشيرا إليهما بالنزول فورا من الحافلة :

(ميتاااااا؟.ياميتاااااا . شايفي الباب هاد ؟. ...هذا باب ؟؟؟؟؟ . افرئينا بئا إنتي وزوزك الزفت بو معدّى

..يا ميتاا .تفدلي نزلي . لك حمّي تسلئك والعين تطرئك شو غليزة ..تدربي منك إلو!).

ثم أنزلهما من الباص قسراً.

دار سوق الحدادين

كنا عشرة أولاد نجلس جميعاً حول طبق صُنع من الألمنيوم تتوسطه صينية كبيرة من شوربة العدس الشهية الساخنة وعشرة أرغفة من الخبز العربي اللذيذ وحولها عشرة ملاعق من دون صحون . وما أن تبدأ هذه الأفواه الجائعة بالتهام الشوربة حتى تفرغ الصينية بالكامل بعد دقائق معدودة دون أن نشعر بالشبع بينما كانت أمي تجلس في المطبخ لكي تعيد تعبئة الوعاء مرة أخرى .

قال لنا أخي الأكبر: رددوا جميعا معي " دار سوق الحدادين.. دار سوق الحدادين " . فنردد خلفه فرحين " دار سوق الحدادين..دار سوق الحدادين " مترافقاً بالطرق القوي بالملاعق على طبق الألمنيوم . اتفقنا أن تستمر الجوقة في عزف هذه السيمفونية التي أطلقنا عليها " سيمفونية الجياع " حتى تأتي أمي وتملأ الصينية مثنى وثلاث ورباع . كما كانت أمي تستجيب لموسيقا الملاعق وصوت الجياع وتملأ الوعاء حتى تصمت أفواهنا بالكامل .

بعد الأنتهاء من تناول شوربة العدس كان علينا الإنتشار في أرجاء الدار والكرم لتحضير دروس يوم السبت . البيت لايتسع ولا وجود لطاولات أو كراسي أو غلوبات كما نشاهد اليوم . لذلك كنت أتعمشق على شجرة السنديان برفقة صديقتي إنصاف الملحم لنكتب وظائفنا . هي على غصن وأنا على غصن آخر نراجع دروسنا في جو ريفي بديع ونسيم غربي يدغدغ الروح والفؤاد وكأننا كنا نقرأ في أجمل مكتبات العالم .

أما أخي الذي أصبح طبيبا اليوم فقد كان يكتب وظائفه في طريقه إلى المدرسة أو في الفرصة بسبب إنشغاله باللعب وملاحقة العصافير. وأختي سوسو كانت تُعمُر بيتا من

الحجارة الصغيرة على (الرجمي) وتصنع له سقفاً من أغصان السماق الطرية وتمكث فيه طيلة النهار،تنام، تأكل، تلعب وتكتب وظائفها فيه ولاتعود إلى البيت إلا عند مغيب الشمس . وماتبقى من إخوتي يصعدون إلى سطح (الباكي) ويفترشون الطراريح والمخد ويقومون بأعمالهم المطلوبة هناك ولا يعودون إلى البيت إلا بعد حلول الظلام .

كان علينا نحن البنات أن نجلب الماء على أكتافنا بالمناشل من عين العليقة القريبة من بيتنا أو ننقلها على ظهر الدابُة ومع حلول الظلام كنا ننام في غرفة واحدة جميعاً على فرشٍ متلاصقة كصفوف اليبرق . ننام قريري العيون نحلم بغدٍ أفضل غير آبهين بالفقر وكثرة العدد، فالتحصيل العلمي كان هدفنا المقدس . وهذا ما استطعنا تحقيقه بفضل الله تعالى ورعاية والديَّ الحسنة والإرادة الصلبة والتصميم الغير مسبوق .

لا توصّي حريص

دخل الموظف الصغير "فريز" غرفة المدير العام مسروراً جدا ويكاد يطير من شدة الفرح. قال له المدير: تفضل.تفضل. يبدو أنك سعيد اليوم على غير عادتك.خيراً إن شاء الله.(شو القصةيافريز؟). جلس فريز على الكرسي المحاذية لطاولة المدير وقال : ياسيدي لقد اشتريت سيارة بيك آب وكالة البارحة بيضاء اللون تتمناها لكل صديق.

استغرب المدير ذلك كثيرا لأنه كان على علم بوضع فريز المادي الذي يكاد ان يكون على الحديدة وبشق النفس يستطيع أن يؤمن قوت عياله وأطفاله الصغار. قال له : ومن أين لك يافريز ثمن السيارة الذي يتعدى عدة ملايين من الليرات ، وكيف تدبرت أمرك بهذه السرعة ؟ قال فريز: (يا أستاذ كان عندي كَرِم مَفلَح أربع خمس فدادين مزروعين بالتفاح والعنب من أحسن مايكون ، (بيْفّكْ مشنوق) وأنا لاأملك غيره من حطام هذه الدنيا وهو الآن في أوج انتاجه .لقد بعته للسيد أبو عمار واشتريت بثمنه السيارة بناءً على رغبة زوجتي وأولادي. (ياخي أنا مابقدر أرفض طلب لمَرتي.قال بدها تركب سيارة جديدة ومرة بوطارق المسؤول

مش أحسن منها لتتعنق كل يوم حد بوطارق وتقشع حالها على نسوان البلد) .

قال المدير: وهل سُقتْ سيارة من قبل يافريز ؟ قال فريز: لا يا أستاذ .أنا لم أمسك دركسيون سيارة في حياتي ، حتى أنني لم أركب دراجة عادية أو نارية أبدا، وبالكاد أستطيع الركوب على الحمار. قال المدير: (إيّاك ثم إياك أن تسوّل لك نفسك وتسوق السيارة قبل أن تعمل دورة سواقة وتتمرن جيدا .(السواقة مش لعبة هه.إصحك .. يامعوّد !بديش بعد وصيك. لازم تنتبه مليح..ومش مين ما إجا وقلك سوق السيارة تقبل.إياك ثم إياك !).

شرب الموظفون والمدير الشاي على شرف سيارة "فريز" الجديدة ودعوا له بالبركة ،وكرروا نفس توصية المدير له بأن لايسوق السيارة إلا بعد ان يتدرب عليها جيداً . ودعوا الله ان يكفيه شرها.

غادر "فريز" غرفة المدير مسرورا وهو يُكرر: (لاتوصّوا حريص..لاتوصّوا حريص... نشالله مابيصير غير هلي على خاطركن) .

في صباح اليوم التالي تقاطر الموظفون الى الدائرة كالعادة بما فيهم المدير. صارت الساعة التاسعة ولم يأت "فريز" .

أصبحت الآن العاشرة .الحادية عشرة ، ولم يأتِ.انشغل بال المدير عليه. إذ ليس من عادة السيد "فريز" أن يتغيّب عن الدوام بدون إذن مسبق.لعب الفأر بعب المدير ونادى على موظف آخر يسكن في نفس قرية فريز وسأله إن كان يعرف سبب تأخره عن الدوام . أجاب الموظف والأسى باديا على وجهه : ألم تعلم ياسيدي أن "فريز" قد عمل حادثاً في سيارته الجديدة كاد أن يودي بحياته مساء يوم البارحة ؟

(زقفَ)[1] المدير كفا على كف وقال : هذا ماكنت أخشاه وقد حصل. بالله عليك أخبر رفاقك الموظفين باننا سنقوم بزيارته عند المساء لنهنئهُ بالسلامة.

عند المساء، جمع المدير الموظفين في دائرته وركبوا الميكروباص المخصص لهم واتجهوا الى قرية السيد فريز ليطمأنوا عليه. عندما دخلوا غرفته وجدوه ملقوحاً على فراشه وكل جسمه مضمداً بالشاش الطبي والجبصين ورأسه (مطبّش) وملفوف بالأبيض ولا يظهر منه سوى ثقبين لعينيه وثقب لأنفه من أجل التنفس. ولا يستطع الوقوف أو الكلام. لذلك دعوا له بالسلامة وأنهوا الزيارة .

[1] زقف كفا بكف : ضرب كفا بكف .

عاد "فريز" الى العمل بعد حوالي الشهرين بعد أن شفي من جراحه ودخل مباشرة الى غرفة المدير ليعلمه بالتحاقه بالدوام. هبَّ المدير لاستقباله ودعا موظفيه من جديد لشرب الشاي الساخن على شرف عودته الى العمل ونجاته من الموت المحتّم. جلس الجميع يشربون الشاي مبتهجين بعودة زميلهم الى العمل. وبعد الترحيب به وتهنئته بالسلامة أستدار المدير ناحيته وقال : الآن وقد مضت الأمور على خير. هل لك أن تحدثنا عن الذي جرى معك ؟ قال "فريز" : الذي حصل (ياغانمين) ، أنه في ذلك اليوم المشؤوم وبعد أن غادرت الدائرة وذهبت الى البيت جاء أهل القرية والجيران ليباركوا لي بالسيارة الجديدة . (هذا يُقلّي : السواقة شغلة مثل شربة الميّ ومافي أسهل منها..وهذا يقول: شو هيي صنعة بعقاقيد؟ في غير تمْسكْ هالدركسيون وتدعس بنزين وتمشي. وواحد يُقلُي : أني تعلمت السواقة لحالي بيوم وليلة. وياغانمين ما بخبركن إلا إنهن لعبوا بعقلاتي ودَهوني ونسيت كل الوصايا هلي وصتوني اياها ،وعند الصبح تصبحوا بخير أخذت مفتاح السيارة ودوّرتها ودعست بنزين ورحت باتجاه طريق الكَفر صلخد، وعند ماوصلت عند سد العيّن ،حاولت الرجوع لكن ما قدرت

رجّعها. نزلت من السيارة وصرت إدفشها وحرّكها يمين وشمال ولوَرا ولقدّام هيك، لحتى دارت باتجاه مدينة السويدا ،وبمعونة الله قدرت سوقها مرة ثانية. وبعد ما قطعت مسافة قصيرة شفت نسوان ثنتين واقفين على جنب الطريق ومعهن أكياس مليانى عكوب وهندبي . وإلا بدي أعمل معهن حسني . عملت بريك للسيارة ووقّفتْ وقلتلُهن : اطلعوا لوصلكم على الكَفرْ. بعد شوي تجاوزتني سيارة مسرعة كثير .ارتبكت وخفت وصار قلبي ينفض نفض .دعست دعسة قوية على البنزين. السيارة قفزت في الهواء وطاروا النسوان وكياس السليقة معهن . ماعرفت شو هلي صار بعدين ، ومالقيت حالي إلابالمستشفى وهذا أني إسا قدامكن مثل ماعينكن شايفي) .

(زقف) المدير والموظفون كفا على كف وقالوا: وأين السيارة الآن ؟ قال:(السيارة بعتها لنفس الشخص هلّي بعتو الكرم، السيد بو عمار). قالوا له : وماذا حدث للنسوة اللتين اركبتهما معك ؟ قال : (الله ستر وظلوا على قيد الحياة).

قالوا له:(الله لا يعطيك عافية فوق تعبك والحمدلله على سلامتك. لا بالله إنك حفظت الوصاية وخذها عنّي يا فريز ، عمرك ما توصي حريص !).

مدلّلي وإم ذوقان

إم ذوقان : دَخلك يا مدللّي عبتسمعي شو عبيقولوا بهالأخبار اليوم ؟

مدلّلي : ويلا اليوم مافضيتش . من الصبح وأني عبدابِلْ بهالكهربا ، شي بدي قشّ ، شي بدي حطّ نَزلْ بالغسالة ، شي بدي إشحن الموبايلات، شي بدي قوقش شوية حطب للببور .. كلّو مراكضة يابنت الحلال ..الله يقطع هالعيشة !

إم ذوقان : ويلا أني تركت كل شي بالأرض وقاعدي عبتسمع على هالأخبار وبْقلّبْ بهالمحطات. شي بيزرزعْ . ياذلّي يامدلّلي ! شايفتلك هالدوَلْ بدّن يظلوا يحكّوا رغيفْ برغيفْ ليصير حرب نوّية ثالثي .
....وقولي إم ذوقان قالت ....

مدلّلي : يا تعثيري أني ! بيعملوها قولتك يختي إم ذوقان ؟ لحاق الذيب وشوف لوين بوديك !!!

مدلّلي وإم ذوقان : (صفعة القرن).

مدلّلي : (دخلك ؟.. مبارح كل هالليل وهني يحكوا بهالتلفزيون عن صفعة القرن...فهمتي شو يعني صفعة القرن) ؟

إم ذوقان : (لا ويلا.. مافهمتش شي..بس يومن شفت هذا "نتن يا هو" مكيّف وضحكتو طول شبرين وعبيزقف[1] وبيخامس[2] "طرامب" بو كذيلة صفرا وكرافي حمرا ...بتقولي كَعدّنْ[3] واحد سفقني كفّ[4] على خُلقتي وحسيت إنو ضبانات ضبانات عقلي بدُّن يطيروا. صواب يطيروا نشالله) !

من غير ميعاد

حدثنا الحسن إبن سلمان قال :

قبل ستين ونيّفٍ من الزمان عندما كنت أعمل سائقا لسيارة شحن كبيرة في دولة الكويت الغنية بالنفط والكثبان، أعلنت وزارة الثقافة عن زيارة للمطرب فريد

---

[1] بيزقّف : يُصفّق .

[2] بيخامس: يُصافح .

[3] سَفقني كف: ضربني كفّ .

[4] كَعدّنْ : وكأنَّ .

عصره والزمان ، الأطرش الذي تعود أصوله إلى جبل الريان بلد المغفور له سلطان .

ولا أخفيكم ياسادة ياكرام والحق لابد أن يُقال أنني كنت في ذلك الوقت كثير الشبه بفريد الأطرش بالصوت والصورة ، شب أشبهي وليس كما تروني الآن شيخاً أتعكّزْ على العصا ، وكنت أقلده في معظم أغانيه ، وكان أصدقائي عندما آتي لزيارتهم يهتفون جميعاً : إجا فريد الأطرش...إجا فريد الأطرش) ، وبعدها تبدأ سهرة الطرب بترديد أغاني فريد الجميلة ولاتنتهي حتى مطلع الفجر.

وبعد الإعلان عن وصول الفريد إلى العاصمة ونزوله في أفخم فندق في المدينة مع أشهر فرقة موسيقية في ذلك الزمان ومرافقة من ثلة من شبان مصريين محترمين ، طار قلبي من الفرح وقلت في نفسي : (فريد الأطرش إبن بلدي وأبيسواش إلا مانروح نسلم عليه في الفندق).

اتصلت بأصدقائي من أهل بلدي وكانوا أكثر من عشرة شباب واتفقنا أن نذهب للسلام على الزائر محبوب الجماهير فريد الأطرش . لا أخفيكم ، يقول الحسَن ، أنني حاولت جهدي أن أتقمص شخصية فريد . ارتديت طقمي الأبيض الباهض الثمن مع ربطة عنق غالية على قلبي

مزركشة ، مع قميص يليق بالمناسبة واحتذيت نعلا أبيض اللون كالذي نراه في أفلام الفريد السينمائية. كما سرحت شعري تماما مثل تسريحة فريد وتشيّكت آخر شياكة . وفي آخر نظرة إلى المرآة رأيت نفسي شديد الشبه بالمطرب الكبير. وقلت سبحان الله ! يخلق من الشبه أربعين !

وما إن وصلنا أنا والأُرطة أصحابي إلى باب الفندق المذكور حيث بهرتنا الأضواء وفخامة المكان وجماله وهممنا بالدخول؛

إذ بأصدقائي المذكورين يبتعدون عن باب الفندق خائفين شاعرين بالخجل الشديد ويتركوني وحيداً ، حيث أن هيبة المكان ورهبته وشعورهم بأن هذا المكان لايرتاده أناس بسطاء مثلهم ، مغمورين يكدحون من أجل لقمة العيش في دولة الكويت الغنية . نعم هذا المكان ليس مكانهم . ابتعدوا عن الفندق وانزووا في ركن من الساحة يراقبون عن بعد .

يتابع الراوي الحسن قائلا : أما أنا فقد أصريت على مقابلة فريد الأطرش بأي ثمن ودفشت باب الفندق ودخلت مزهوا بنفسي ومترقبا رؤية الفريد . لكن الحارس أوقفني بوجهه العابس مستغربا جرأتي ومتسائلا كيف دخلت الفندق من

دون موعد مسبق وطلب مني الخروج فوراً وإلا ! وعندما رآني لم أتزحزح من مكاني سألني ماذا أريد ومن أكون . قلت له على الفور : أنا شقيق فريد الأطرش من جبل العرب وقد أتيت لرؤية أخي . تغيرت ملامح الحارس فورا وبدأ بالإعتذار مني وقال : أهلاً وسهلاً يافندم ..نوّرت الدنيا كُلها...أهلا وسهلا..أهلا وسهلا) . ثم دعاني إلى الجلوس في قاعة الإستقبال الفخمة وقدم لي ضيافة تليق بشقيق فريد الأطرش ..أطيب المشروبات التي لم أذق مثلها في حياتي . وما أن مضى بعض الوقت لايتعدى العشر دقائق حتى رأيت فريد الأطرش بكل بهائه وأناقته ينزل الدرج المؤدي إلى قاعة الإستقبال مبتسما والفرح يكلل وجهه .

هل أنا في حلم أم في علم ؟ لم أصدق أنني في حضرة هذا الفنان الجميل هكذا من غير ميعاد ، بدون تحضيرات، بدون بروتوكولات . نهضت من على الكنبة ومددت يدي لأسلم عليه . قال ضاحكا : (أهلا ..أهلا بأخي من جبل العرب ..كيف الجبل..كيف سلطان...كيف ناسي وأهلي فْكُلِ مكان ...) ؟ وضمني في الأحضان . أخذنا الوقت سريعا ، من حديثٍ هنا وخبرية من هناك ..من جبل العرب .

يا لتواضع هذا الرجل وكرمه ! سألني عن عملي وعمل أصدقائي وكرر أكثر من مرة وبإلحاح إن كان أحد من أهل الجبل هنا في دولة الكويت بحاجة إلى أي شيء وسيكون تحت الطلب . (أنا تحت أمرِكُم ياخويا) . هكذا قال لي بكثير من الغبطة .

لم يتركني إلا بعد أن أتاه مرافق له يذكره بأن لديه موعد مهم . ودعني إلى باب الفندق محملا بالسلام إلى الوطن . تركته تغمرني السعادة والفرح وشاكراً حظي السعيد الذي مكّنني من مقابلة هذا الفنان المتواضع الكريم الذي قل نظيره وربما لن يتكرر . لكن مايجعلني أشعر بالأسف أنني لم أفطن في تلك الفرصة النادرة أن آخذ صورة تذكارية معه، توثق لهذه المقابلة التي تمت من غير ميعاد .

مِضي يوم بعد تسعة وعشرين يوم

كم كانت فرحة العم (أبو هزاع) عارمة وأحسّ أنه قد قبر الفقر إلى أبد الآبدين عندما أخبروه أن الدولة قد منحته راتب معلولية، بعد إصابته إصابة بالغة في بطنه ونجاته من الموت بأعجوبة بعد مشاركته في حرب فلسطين عام ١٩٤٨.

جاء محمّلا مزملا بما لذّ وطاب من اللحوم والفاكهة والحلويات مما أفرح قلب العائلة والأولاد وشعروا بفخر كبير بعد أن أصبح الوالد، جريح حرب فلسطين، متقاعدا، إذ كان راتب المتقاعد في ذلك الحين يكفي ويزيد ليعيش المرء عيشة كريمة هو وعائلته .

كان العم (أبوهزاع) ينتظر آخر الشهر بفارغ الصبر حتى يذهب إلى المدينة لاستلام الراتب وبعد أن يمضي اليوم الأول من حصوله على مرتّبه ، يذهب إلى الروزنامة المعلقة على الحائط وينتزع أول ورقة منها ليخبر زوجته بأن الراتب أصبح على الأبواب ويقول لها : :((مضي يوم ...بعد تسعة وعشرين يوم يا أم هزاع) .

وهكذا كان يعد الأيام بلهفة حتى يحين آخر الشهر ويستلم تقاعده.

واليوم أقول : مضي يوم ، بعد تلاثمي وأربعة وستين يوم (٣٦٤ يوم) لكي تنتهي سنة ٢٠٢٢ .

عسى أن تحمل هذه السنة كل الخير لبلدنا ولأولادنا أينما كانوا في كل بقاع الأرض وتكون خاتمة خير ورخاء ومحبة

ويعود الأمن والإستقرار إلى بلدنا الحبيب .... فإنما السنين والحادثات بخواتيمها كما يقول محبو هذه الأرض المباركة .

أشـــعار
بالفصحى والعامية

صراع أزليّ بين العقل والعاطفة

عواطفي

تحيّرني

تعذّبني

تقتلني

تدمّرني

تذلّني

وتمرّغ أنفي بالوحل

وتسحق قلبي الضعيف

وتفتّته إلى ذرّات غير مرئيّة .

في العاطفة حرارة

عقلي

يعطيني القوّة

يرفعني

يسمو بي إلى الأعالي

يقرّبني من الله

يهدّئُ من روعي

يجعلني أتقبّل الحياة

لكن في العقل برودة.

فأيهما أختار....

عاطفتي أم عقلي...؟؟؟؟

رحيل ...

يا عالم الأسرار

علم اليقين...

ترأف بعبادك المساكين .

الطاسي ضايعة

والناس جايعة

ولا ندري ما المصير

أهو البقاء

في ربوعك ياوطني ،

أم الرحيل ؟

عيد الحب

أي شيء في العيد

أهدي إليك

يا ملاكي ؟

وراتبي المشلول

شوفة عينيكِ..

لايتعدى الثلاثين ألفاً

من الليراتِ ..وبضع فرنكات

مصدياتِ..

أوردة حمراء

بِلونِ خديّكِ

أم دبدبا قطبياً

يصير عبدا لديكِ ؟

بصراحة !

العين بصيرة واليد قصيرة!

لم أجد أغلى من الروح

أهديها إليكِ

وروحي مرهونة

بين يديكِ .

أهل الحميّي

يا أهل الحميّي

والنخوي العربيّي

وضيوف ومحليّي

أنا عالق..عالق ..أنا عالق .

بـ ١٠٠ دولار بَس ...

بتنحلّ كلْ القضيّي !

مكدوس!

نكنك بطل عمال مكدوس

يامواطن يامدعوس

كيلو الجوز بخمصطعش

والثوم بأربطعش

أما الفليفلة الحَرّة

مش ممكن إيد بتنمد

عليهن من كثر الحَدْ

بتتزعفل من غلا الأسعار

وبترجع عابيتك محتار

وبتصير تردد شِعار:

"يسقط ..يسقط المكدوس"

وياشوفير! دوس ! دوس!

الله يبعتلك عروس

مغمسي بزيت المكدوس

لازيت اونا ولاتعثير

بالسّوق مصبر تصبير

وخلي الزيت بنعارو[1]

لحتى تنزل اسعارو

ون كنك بطل يامتعوس

روح...السنة ..عمال...

مكدوس !!

روح السنة ...عمال مكدوس !

يسقط..يسقط..المكدوس !

[1] بنعارو جمع (نعارة) : هي جرة مصنوعة من الفخار ، كان الزيت يوضع بها قديما قبل اختراع الزجاج ...

فوضى الكورونا

هذا عَطسْ وما فَطسْ

أكيد معو كورونا

هذا لبس الكِمامي وتلثم بالعمامي

يا ذلي ! معو كورونا.

هذا قَحْ حتى أنْبحْ

يمكن معو كورونا

هذا مات بعد سُبات

ياخطيّ مات بكورونا!

حرارتو ارتفع .. راسو انوجع

الله يعينو ! كورونا!

البطن انسهل..الشمّ انقطع

يا معثر هذي كورونا!

لنّصيحة لكانتْ بجمل

لا تمشي ورا الإشاعة

وخلي الخبر الأكيد

للمسحة والسماعة.

وطبيبك هو المفيد

وتدابير الوقاية ،

ومناعة وحسن تعقيم

ولا تخصيص ولاتعميم

ولاتظليل ولاتعتيم .

هذا كل مامنريد

يا صديقي...يا رفيق !

وأوعى! أوعى ياصديق

تركض ورا الإشاعة !!!

همس الليل

رياح عاتية.

ما الخبر؟

غبار يحجب..

وجه القمر.

لمن أهمس ؟

أللّيلِ يئنُ من العتمة ،

أم لريحٍ صرصرٍ

لم تبقِ ولن تذرْ

تنذر البشر ..

بعبءٍ ثقيل..

وهمٍّ وكدَرْ.

هل سيحلو بعدها

السمر؟

أَوَ يذهب الكدر؟

أم أنه

يقرع الباب

القدر؟

قال وقلنا :

قالوا الخبز بدو يصير

عالبطاقة الذكيّ

ماقلتلك ست بدور

تخبزيلي طلميّ ؟

على الصاج وبالتنور

و دهن وسمن وقليّ

فوق رغيف بقمح شعير

تسخسخ عجنابو الليّ

أحسنِلك من كور وعور

من الصبح للمسويّ

لتحصلّك كم رغيف

عالبطاقة العذيّ .

طب شعبي

على دلعونا وعلى دلعونا

صينية كشك بالمعكرونا

بتشفي العليل من داءكورونا

مع كمشة فلفل وكم قرعة ثوما

بيظلو جوزك حدك ياعيونا

لاحجر صحي ولا كمّامونا

من عبق الثووووم وريحتو الملعوونا

وكل يوم عالصبح كاسة ليمونا

ودعوة من القلب .. لاتواخيذونا.

قتلوا العدالة

ندين

نستنكر

نشجب

نلعن

كلمات لم تعد تكفي

بعد أن قتلوك

ايتها العدالة

في قلب دمشق الزاهرة

تبا لكم أيها المجرمين

وتبا لنفوسكم الفاجرة.

يا صبحَة

ياصبحَة ..لا تجيبي (الصينية)

لا تصبي الشاي لِكي ولا ليّا..

وكورونا...صناعة امركانية

والمرض ياصبحة طال

ياصبحة طال...

كل البَرية...

كل البَرية .

مطر...مطر...

على نافذتي ينهمر المطر

ونُدَفٌ مبعثرة من الثلج

تنزلق شاردة،

وقِطةٌ جائعة تموء في العراء،

وريحٌ هوجاء تصرخْ أن :

استفيقوا يا بني قومي

من سبات

تطاولَ واستطال .

وقلبي مابين أضلعي

يعصف به الشوق والحنين

إلى وطنٍ أنهكته الحرب

آنَ له أن يستريح .

اصقا للّه على إيام البرباص

راح إرجع قحّط برباصْ[1]
وإكْرَع[2] مية بالطاسْي
وإلبسْ فضة ورُباصْ
وطربوش وشكي ودامر
وقرانيصة وسوايـر
والكشكش دايـر دايـر
وفوطة يشمة وحرايـر
فوق طوال الجدايل
وقبقاب شُغلْ الكندرجي
وبتمشّى كرجي كرجي
ولاسيارة ولاموتور
عالطريق بيدفشني
وبالحفرة بيوَقّعني
وبالوَحْلْ بيطرطشني

---

[1] برباص : أوراق السنديان الجافة تستخدم للتدفئة كنوع من المحروقات

[2] إكرع: إشرب الماء بشغف بسبب العطش الشديد..عندها تسمع صوت كركعة المياه في الحلق .

وبيسرع ويطنّشني

وبالزمّور بيصرَعني

جوز عيون وزقرتو[١]

وبإيدي أشرّتلّو

ومن قراقيح[٢] قلبي قلّتلّو:

منشاااااان ربك ..

زيح عني !!!

---

[١] زقرتو: نظرت إليه نظرة غضب فيها تهديد ووعيد

[٢] قراقيح القلب: من جوات القلب

حـــنيـن

اشتقت للدار
ويلّي ساكنين فيها
للجاجات ،للعنزات
وصيصان زُغُبْ
عبتصوصي
تندَه لراعيها .
للقليب...للكَفرْ
والقمر الضاوي فيها
اشتقت لأختي..
بليلة سمر ،بدي حاكيها
ولجارتي بسمة أمل
من الصبح عبناجيها
اشتقت..
لَلّوردات...للكشكات
لَلّوزات..والجوزات..
وريحة إبريق يغلي
عاببُّور الحطب

ينعش قلب ، هدّو البعد

من يومين

مع صربة حبايب

جوّا العين حايفينو.

إلى جـوليـا

قلت هذه الخاطرة بمناسبة رحلات جون كيري وزير الخارجية الأسبق للولايات المتحدة ومحاولاته الفاشلة لحل الأزمة السورية .

كيري.....كيري

توم.....وجيري

ضعوا اقنعة الموت

على وجوهكم

المقيتة...المنافقة...القاتلة

لم أعد أطيق رؤيتكم

تغتالونا ...ونحن صامتون

تتصافحون....وتقهقهون

وتعتلون المنابر شامتين

ابتساماتكم المزيفة

كضرب السكاكين

والخناجر ....

ألا تستحون من أرواح الشهداء

والأطفال ..والأبرياء

واشباح ألاموات

التي تطوق أعناقكن وضمائركن

إن كان عندكن بقية من ضمير.

نحن لانريد رؤيتكم بعد الآن

إغربوا عن وجوهنا

ايها الاوغاد

المارقين !!

ضيـــاع

نحنا مْنركُضْ

وقدّامنا أحلامنا بترّكضْ

وكان كِلّ العُمُر غَفْلي

وما بقي غير المّضى[1]

ذكرى....

ليظل هالقلب

على قيد الحياة.

[1] المّضى : الماضي

شـــقاء

كم كرهت هذي الحياة

وخوضها

لم أرَ فيها سوى

التعاسة والشقاء

والخوف من المجهول

والفناء...

هذا الذي جناه عليّ

أمي وأبي

على حدٍ سواء

غْليصْ[1]

وَرا كل طبخة محروقة

ست بيت مهروقة.

عبتفقس على الفيس

لتشوف شو صار ب "غليص".

صار مطلّقْ تلاث نسوان

وميتّمْ أربع عجيان[2] .

أربع عجيان ياذلّي

بتنْطَبّ عْليهُنْ القفّي[3].

أثاري حابب وعشقان

بنت صغيري هالضرسان

كان براسو عقل وطار

يومن شافا عاتَلّي[1].

---

[1] غْليصْ : إسم عَلمْ مذكر ربما بدوي .

[2] عجيان: أطفال صغار .

[3] القفيّ : وعاء مصنوع من القش توضع تحته الصيصان الصغيرة .

الله يبعثلو عِلّي

شو إنو واحد خسيس

يمكن طغاه بليس.....!!!

---

[1] التلّي : مؤنث..تل..وهو المرتفع من الارض

آذار الهدّار

بعدو هالشهر الهدّار

لاطيلنا[1] جوات الدار

بهددنا دايم دوم

بسبع ثلجاتو الكبار

من عدا كم وحدي

زغار

موعودين بمنخفض

بأربطعش من آذار

وبدكن نصيحة مني ؟

خبّوا حطباتكن الكثار

لجدّكنْ معذّى الختيار.

□

[1] لاطيلنا : متخَبيلنا .

صراع الأجيال

مش عارفي كيف بدي عيش

مع هَلّي قصّت شاليش

ومن الجينز بتلبس شراتيح

وبتدخن بالأركيلي

قالتلي : بتفهمي بالطبخ؟

قُلتلْها : بْلَطّشْ تلطيش !

اصقالله عاإيام الطرابيش!

ولبس الفوطة...والدامر

والعصبي والسواير

والكشكش داير دايـر.

ومنكن يابنات اليوم.

فكري بيظلو حايـر.

لكِ سـيدتي!!

يا ابنة آدم

ان كنتِ صغيرة أو كبيرة

غنية أو فقيرة

وأصبحت سفيرة

أم وزيرة

فإن الأطباق والطناجر

وأكوام الصحون المستديرة

تناديكِ

لتُنظّفيها وتُلمّعيها

عند الصبح والظهيرة..

بسرعة البرق يا أميرة !

الناطور

وناطور امّضيها صيكعة[1] مسكين

لا مرق نِمسْ[2]

ولازقزق العصفور

بعِزّ الظُهر

قلبو فقع من قلة

الوَنس

تخمين ...

مستني نسمي من الشمال

تفرفح قلب

تفتح أفق

إلو مسدود

سبع سنين .

---

[1] صيكعة : رايح جاي عالفاضي .

[2] نمس : حيوان بري يشبه القنفذ يعيش في الغابة .

مُتّ قــاعـداً

ماذا أقول لراتب المتقاعدِ
بضع من الآلاف لاتسد الرمقِ
لدواء ضغط وديسك رقبي
أم لمتممِ أغذيةٍ وتكلّس رُكَبِ
بالله عليك قل لي هل يكفي
ماتبقّى لشراء باكيت متّةٍ
او عنقودِ عنبِ ؟؟؟

عيشة الفلاّح !

ما أصعبها عيشة الفلّاح
ولايوم بينام مرتاح
يوم شحالي
ويوم رشوشْ
ويوم عزالي
ويوم انكوش
ويوم تعشيب
ويوم ترطيب
وسقاية بالقطارة
ولَمّْ زبارة وفلاحة
عالعزاقة ياخسارة
وفوق التالي
وتعب البال
بيِجي الثعلب
المكّار
بياكل البيضة
وقشرتها .

كل شيء جديد تحت الشمس"

أنا اليوم

لست كما كنت

في الأمس

هنالك شيء

ما

قد تغيّر

ربما انكسر

ربما ارتحل

أيكون نجمي

قد أَفَلْ؟

ولن يعود

مع إطلالة الفجر

مع إشراقة الشمس

بل أصبح طيفا

لطيفا...شفيفا

يَخشى أن

يتكثّف ؟

ربما هذا

حدث.

محنتي مع الكلاب (نباح وعواء)

مش عمنقدر ننّام من نبيح الكلاب
وصواتهم مثل صرير البواب
واحد منهم بعوّي وبقوّي
وواحد بنبّح تنبيح
مثل عويل الريح
وواحد بعوعص عوعصة.
وفي منهن كلب
قاعد تحت الشباك
وعبنونص نونصة
هذا لابنام ولا بخلي حدا ينام
الله لا يوفقو !!
قُمتْ ورميتلّو عظمي
بطّلْ يبّزمْ ولا بزمي
شغلة هالكلاب شغلي
ولازم يلتقالها حل
قبل ماتحمى الحديدي
وتبطل تنفع القصيدي.

خارج الخدمة

كل هالراتب يا دوب يوصل الأربعين ألف وشوي. محرزي يقسموه لقسمين .. قسم ٢٥ ألف...وقسم ١٠ آلاف ؟؟؟

يعني أني فاضي إجي وكركب حالي ،
من المشنّف ولا من سالي
ومن عَنزْ وعذب حالي
ومن الهويّا والقرّيا
ومن اللهيت والهيات
ومن مَلَحْ الصرّار والعانات
وصلاخد وخربة عوّاد
والصَوَرة والطيري
وكناكر والدويري
والكفر وسهوة الخضر
وحبران وحرّان،
وامتان وإم الرمان ،
وحطلي اربع خمس تألاف
إجرة تكسي ونُزُهات

واندحش بالميكرو دحشي ؟

الله يلعن الشغلي !

وكلو أهون من الزحمي ،

وكتابة "خارج الخدمي".

وفي منهن واحد صراف

شي سنتين إلو نايم

مدري فات بغيبوبي

مدري من القلّي صايم

ومن كم يوم تشييعو تمْ

وارتاح وريّح غيرو

كان بيوم من الايام

على حيطان البريد

مْتْعَنّقْ !!!

ملاحظة : الأسماء الواردة أعلاه هي لقرى في محافظة السويداء من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال على طريق دمشق..

تقمّص

هذا الجسد الفاني

مصدرٌ لآمي

لوكنت طيفا

أو روحا هائمة

لما كنت عانيت

وبك ياسجني المؤبد

قد ذقت العذاب وبك ابتليت!

لو انني ولدت مرة أخرى

فإنني لامحالة

عائدة منك

إليك....

□

خُبْث السياسة

اجتمعوا

بحثوا

صرّحوا

استنكروا

شجَبوا

قلقوا جدا

قرروا

أجّلوا

أسفر الاجتماع عن

لاشيء

وعادت الدائرة

الى نقطة الإنفجار.

تشظي

لماذا علينا التجزؤ

والإنقسام

فأنا

لست أنا

أحاول أن

ألملم نفسي من جديد

فبعضي هنا

وبعضي هناك .

عدمية

عندما تتساوى عندك

الأشياء

الفوضى والنظام

الفرح والاحزان

الفقر والثراء

الجدب والغمام

الليل والنهار

النور والعتمة

الكره والمحبة

فاعلم انك

تستطيع مغادرة هذا العالم

البائس

وترقد في

في راحة أبدية

وسلام...

موائد التشريح

كيف استطاع

طبيبنا الرحيم

كتابة قصائد الحب والغزل

بعد أن دخل

قاعة الموت

ورأى الهياكل العظمية

والجماجم والعبر

والعيون الغائرة

والبشاعة

على موائد التشريح؟

اليــوم

عرفت

أنني

لا أعرف

أي شيء...

أبحثُ عن معنى

يضيق المكان
وتتضاءل المسافات.
وتنغلق المساحات
وتصغر الأمكنة..
حتى لاتتعدى سريراً
في غرفة نوم نائية
تحيط به الدفاتر والكتب
والأقلام المبعثرة
بها نافذة تشدو
على زواياها العصافير.
وعلى أعتابها تتفتح
تفاحة ودراقة
وعرائش عنب

خضراء ،فواحة

لكن فكري يخترق

الزمان والأكوان

والماضي السحيق

باحثا عن معنى لوجودٍ

يُقنع الأنسان

يعود الفكر مرة أخرى

خاسئا ، حسيرا

ثم يتوارى ويضيع

في لجة النسيان

والأحزان.....

ولادة جديدة

أن تستيقظ

في الصباح الباكر

وتكتشف انك مازلت

على قيد الحياة

في عالم يحكمه الموت

والعصافير مازالت

تغرّد على شِباك نافذتك

ورائحة التفاح والياسمين

تعبق في المكان

من حولك

فرصة نادرة جدا

لحظة من العمر ... رائعة

تستحق أن تُعاش .

الكهربا اليوم

فحم

وحديد

ومنغنيز

ونحاس

ووجهك يا هالكهربا

اليوم

مثل وجه القرد

وَانْحَسْ

حاجي نقنقة ولوم !

خمس ساعات عتم
وساعة ضو
خمس ساعات وقوف
ولا ساعة نوم
خمس ساعات عذاب
بتنحسب عن ١٠٠٠يوم
ألا يكفيك هذا يا ابن آدم
لَكْ حاجتَكْ نقنقة ولوم
لأنو ، يوم بعد يوم
راح يصير تنفسك
ينباع عالبطاقة
وعالبون
وحميد ربك هلي بعدك هون
عايش وما قبروك
بمقبرة المليون
بقى ..سكوت وانْدفسْ
وحاجتك نقنقة
ولوم !

جوع على شبع

نامي جياع الشعب نامي

نامي!

مابقي عنا

طلامي[1].

سلامٌ عليكم

أيها الجياع

والنِيام

والمتسكعين

في كل بقاع الأرض

سلامٌ

ورحمة الله

وبركاته..

سلام ...

---

[1] طلامي : ارغفة من الخبز سميكة .

يوميّات مُتسكِّعَة

غْلْطِتْ ونْزْلِتْ عالسوق..
صاحبة الدخل المحدود
لتشتري شحاطة ،
بلاستيك من العمارة
عمي بتعطينا اياها
بالتقسيط أو بلاها..
لخمس سنين بتَماما؟
قلّها : روحي روحي
من قبالي
أحسن ما اعملكْ قتالي..
روحي عمي فرجينا
عرض كتافك ياغالي
الله يرضى عليكي !

خليني استرزق ربيّ ..

تركَتْ المحل زعلاني

والفُقُرْ ومش نسياني

ورجعت يا حبّة عيني

تتسكّعْ بشارِع الشعراني .

يومِنْ شفتها عْمْلِتْ هيكْ

قَفيتْ بظهري وفَليتْ

وبوجهي دُغري عالبيت

من القَهر نْمْتْ وطَبيتْ...

فوضى السلاح

مهداة إلى روح بيسان

نموت

إما فقراً

إما قهراً

إما غدراً

إما رمياً بالرصاص .

قُتل الجمال اليوم

على مذبح التسيّب

والعشوائية وفوضى السلاح .

ومضـــات
و قصص قصيرة جداً

نرجسية

في وصوله إلى القمة ، سحق كل شيء أمامه .

كعكة وصفقَة

خبزوها على آهات شعب .

مئة عام من الـ..

ومئة شمعة.

يُقدمها كبيرهم على طبق من فضة.

قطَعها .

قال أمكرهم : هذه القطعة الكبيرة لي.

يَلتهمُها .

وأنا ؟ قال شريد .

هاكَ بضعَ فُتاتٍ .. وصفعَة.

تسوّق أم تسوّل ؟

وإذ دخلت محلاً للألبسة الأوروبية خجلة من أن يراني أحد ممن يعرفني ،
أتفاجأ بعليّة القوم من سياسين وأدباء وقادة وزعماء ورجال دين ومُديري في العمل وقد سبقوني إلى المحل للبحث بين أكوام الثياب عن قطعة تستر الحال رماها الأوروبي على قارعة طريق الشانزليزيه وشارع بيغ بن على أمل أن يفرح بها متسوّل .
غطّوا أنفسهم بأصابعهم وأشاحوا الأبصار عنّي .

عِظَةٌ ...

من أعلى الجبل خاطبهم :
"إن صَدقَ لسانَكُمْ دخلتم ... الجنة" .
رَكَعوا وصلّوَا . قدّموا القرابين والنُذُرْ.
أكلوا السُحْتْ.
بعد ألفٍ وألفين من الأعوام ،
نُفِخَ في الصور.
خرجوا من الأجداث .حُشِروا..
نُصبَ الميزان .تدافعوا..
في حلمٍ هم أم في عِلم ؟
يصيح عزازيل :
لم يبقَ شاغرٌ في جهنم .

تصفيق ...

وقف قُبالتي يحدُجني بنظرات،
يَخفِقُ قلبي إذ يتلَمّسَ الزناد ،
تَمْتَمْتُ : في كفيّ دُمّلٌ ينزُف .
لَكَزَني . بل سَتصفّقين !
صفقَّ بلبلٌ على قضبان زنزانتي.

ابتسامة هوليوود

منذ أن صنع لها طبيب الأسنان البارع إبتسامة هوليوود ،
لم تعد المرآة تفارق يدها ولا الابتسامة ثغرها ،
توزعها ذات الشمال وذات اليمين،
لكنها لم تعد تستطيع تكسير البندق وفصفصة
بذورر ميّال الشمس والبطيخ .

مُضادْ تحسُسْ

تناول الزعماء جرعة الدواء المطلوبة.
غطّ الجميع في نوم عميق
إلا واحدا ،
غادر القاعة مترنحا.
وتَمَلْمَلَ آخر ..

هَذَيــانْ

على قارعة الطريق ..وقف
تُظلهُ غيمة
يرتدي معطفاً
وقبّعة.
كان نحيلا
ووجهه شاحبا،
أومأتْ له من خلف المِقوَد
مدتٌ يدها لتصافحهُ ، انزلتها .
عيناه تحدّقان في الأفق..
لم يلتفت.

مذكرات قنصلية

دخل مرتدياً طقماً أوروبياً .. خرج مُقمَّطاً بسجادة بيزنطية.

ميراث

انتهت مراسم التشييع . كفكفوا دموعهم.
يسارعون إلى الوصية..يعيدون قراءتها ..
تضاءلت أحلامهم ،
مزقوها ،
تَرَكَ بصمة .

رؤية كلب

رفض الكلب " ابو الليل "كل ماقُدم له من أنواع اللحوم والأمعاء والرؤوس وأختار مكانا بعيدا عن المدينة يستطيع أن ينبح ويعوي فيه كيفما شاء متى يشاء .

تخريفْ...

كلما احرزوا انتصارا ؛ علّقَ وساما .
أثقلت النياشين صدره ،تَضَخّمَتْ أَنَاهْ ،
انتهت المعارك ،
وثّقَ لها في كتاب ضخم عن الطبخ.
يُنادي المُنادي !!
يَتقاطرْ المشيّعون ،
يُدفَنْ في مقبرة الشهداء.

إرتقاء..

قيّدوها،
زاغتْ عيناها.
شدّدوا الحراسة؛
تملْمَلتْ،
أشهروا بنادقهم ،
على جناح غيمة أسلمت الروح.
فرح عارم وملك حارس مرافق.. تراتيل وصلاة في الملأ الأعلى.

غَـدرْ..

خلف التلال الشرقية تختبأ الشمس
يسمع طرقا على الباب...يفتحه. ...لعله مستجيرا !
ياحياالله بالضيف ..ياحياالله بالضيف !
أطلق الملثم النار.
سقط الشيخ صريعا .
تحيااااا ... سووو...ر..يا
ت م ت م ...

حكم مؤجل

إسمها يتصدر القائمة .
يَنطق بالحكم :" مُذنبَة ".
حطمت براءتها القضبان..اندفعت نحوه..يلفُّ الصمت المكان.
على خده الأيمن صفعته.
يدير لها خده الأيسر .
راوَدَهُ حلم قديم ،
تزَوّجَها.

خيبة ...

بالصدفة عثرت على دفتر مذكراته ، قرأت :
أنجبنا الذكور والإناث .
تخرج الاولاد..تزوج الاولاد..رأينا الاحفاد
قلّبَت الصفحات..عدَّت حتى المئة
تلهفتْ .
هَهْ !!! ها هي نضالاته...تنظيراته...اسماء كتبه..
دواوين أشعاره.
وهذه مغامراته مع رندة ولمى وإلهام !!!

لعله تذكرني وأنا أطبخ..أكوي..أمسح..
سقطت دمعة..
الصفحة مئتان وعشرون...
الأخيرة.
" إلى ملهمتي .. ...F R اكتب هذه المذكرات"

إحتضار...

قيّدوها .
زاغت عيناها.
شدّدوا الحراسة.
أشهروا البنادق.
ترقُّبٌ وانتظار..
صمت مطبِق...
أسلمت الروح...
في الملأ الأعلى فرح عارم وملَكٌ حارس مرافق..وجوقة تراتيل وصلاة .

تحرش

غطت في نوم عميق .
رأت في منامها شبحا .
تلمس جسدها الغض بأصابعه الغليظة.
تحدق في العتمة.
تكتم انفاسها.
ترتعد فرائصها .
تتململ.
يذوب كالملح.
في الصباح .
نمرود صاحب الدار.
أصابعه غليظة.
لم يلتفت إليها.
ظل يسقي مساكب النعنع.

إغــواء

لم تدرِ كيف تسللت أصابعها الى حجابها عندما لمحت ذلك الشاب الأكحل يرافقها عن بعد من بوابة المدرسة حتى مدخل بيتها .

خلعته .

انسدل شعرها الأسود اللامع على كتفيها حتى غطى خصرها، يظهر البدر.

تتباطأ في مشيتها،

تتمايل،

تتدلل،

تسرع في الدخول الى منزلها،

ترديه قتيلا.

في المساء ..

تصلي العشاء وتطلب من ربها المغفرة

□

إمرأة قادمة من الشرق

بعد أن حطمت الأغلال والأقفال وسحقت الجيوش
والعروش ، خرجت من قمقم الزمن لتقول :
لا شبيك...ولا لبيك. انا لست عبدة بين يديك !

حبٌ موقوتٌ

لم يجد ورودا وزنابق
أهداها قنبلة ...
و صاعق
قُتلَ الجمال اليوم
على مذبح التسيّب
والعشوائية
إلى...هِبة

خواطر عَالبال

..لن يدعك شيطان الفكر وشأنك، بل يوسوس لك ويوقظك من عزّ نومك ويقول لك : أكتب ! من يكتب لايموت .

..مايحزنني أني أنسى أحلامي التي بها حلمت وأعود مرة أخرى إلى يقظتي المريرة عند انبلاج الصباح .

..نام بكير وفيق بكير وشوف الدولار كيف عبيطير..

..أخشى أن يُحطم الحنين قلبي .

..عدم الإعتراف بك لايعني أنك غير موجود .

..أن تُطرد من حزب بسبب عدم تسديدك للإشتراكات شيء منطقي ، لكن أن تُطرد من الجنة بسبب تفاحة شيء لايقبله عقل .

..كثيرا مايرتدي الشيطان ثياب الملائكة .

..لم تعد مزابل التاريخ تتسع للمزيد ، يلزمها الآن إعادة تدوير.

..طيلة عقود وهو يناضل من أجل الإعتراف بالآخر لكنه رفض الإعتراف بي .

..تزداد أواصر المحبة على طوابير البنزين .

..عطر البنزين ولا دهن العود والعطور الفرنسية ..

..عزف لحناً حزيناً على أوتار قلبي فتراقصت له حنايا روحي ثم ارتحل ..

تقول المحللة الإستراتيجية إم ذوقان : سقريبا ستعلق الحرب وقولوا إم ذوقان قالت ...

هاهو عصفوري الجميل يوقظني عند الفجر مزقزقا بصوته البديع وموحيا لي بالأمل ومبشراً بيوم جديد أكثر إشراقا مما سبق من أيام الكرب والشدة .

...كَثُر التسوّل وقلُ العمل .

..رأسي متخمٌ بالأفكار الثقال .

..قلبي يفيض بالمحبة...لامكان فيه للكراهية .

..يزداد عدد البؤساء في العالم وتزداد ناطحات السحاب والأبراج والصواريخ ارتفاعاً في السماء .

..هنالك نوعان من الموسيقا حول العالم ؛ موسيقا كلاسيكية وموسيقا بلاستيكية .

..من علامات قدوم فصل الشتاء إنقطاع النَت والكهرباء .

..لا أريد أن أكون روبوتاً .
..هل نحن في عصر الأوطان المتحركة ، وطنك اليوم لك أما غدا فهو ليس لك ؟

..أنا المواطن لاشيء . صوتي لن يسمعه أحد . لماذا أتكلم إذا.

..لن ينتهي الصراع بين البشر طالما كان هنالك جائع أو مظلوم على وجه الأرض .

..أخشى أن يُحطم الحنين قلبي !

..ويبقى الموت هو اللغز الأكبر.

..تحلو الأمسيات على ضوء اللدات في المركز الثقافي في مدينة السويداء .

..المجد مازال للسيف...ليت المجدُ للقلم .

..لم يكن ماضي الزمان بأفضل حالٍ من حاضره، لكن للماضي سحرٌ يجذبنا إليه كما يجذب النور الفراشة .

..في داخلي فردوس مفقود أفنيت عمري في البحث عنه .
..لا أثق بأحد ..ملتحياً كان أم حليقا . تقول بائعة الورد .

..هذا العالم مصابٌ بالجنون .

..مهما فعلت من أجل من يكرهك فلن يرضَ عنك .

..ماما تطبخ..بابا يلعب النرد .

كتب قصيدة عصماء عن رجل أفنى عمره في أعمال البناء ونقل الحجارة. خلد التاريخ إسم الشاعر وأصبح الرجل من المنسيات.

الفهرس

الإهداء ١

بطاقة شكر ٢

نبذة عن المؤلف ٣

يوم القيامة ٤

ماذا تفعل الكلمة بنا ؟ ٦

بلاد العوايات ٩

ذكاء قائد ١٢

طابور مشلول ١٣

أطفال الملاعب ١٤

عضنا الكلب بنابه ليت ما حل بنا به ١٦

مدينة في غير أوانها ١٩

ياقرد السما ٢٢

ليلة ليلاء ٢٣

برنامج انتخابي ٢٦

بقايا صور ٢٧

من قصص الأطفال ٢٨

انبطاح ٣٠
حاسس حالي بعدي زغير وكنو قلبي بعدو شب ٣٢
كل رغيف حوله تسعة كأنما صلى عليه المسيح ٣٣
طب بديل ٣٧
حلوى العيد ٤٠
كيف يتصرف الكبار ٤٢
اليوم العاملي لحقوق الحيوان ٤٣
صرنا نبعثلك مكتوب تبعثي مكتوبين ٤٤
المدينة المسحورة ٤٥
لقد كان القدر طيباً معي ٤٧
خناقة شامية ٤٩
بـ ليرة ... بس ٥٢
من حكايا الفقراء ٥٣
أنا صامد ٥٤
أوراق عتيقة ٥٧
حمار العم معذى ٥٩
نهاية إمرأة غير شجاعة ٦٢
نحن والخطوط ـ عسكر أم دقن ٦٣

الخوف قطاع العصب ٦٤
كلن يعني كلن مدللي وام ذوقان ٦٧
زلة لسان ٦٨
نهلة الدمشقية ٦٩
ذيبي ٧٢
عندي دوا للذكا ومعبا بزروف ٧٥
من أساطير الشعوب ٧٧
سخرية القدر ٧٨
سمن وسكر ٨١
حلم ٨٤
من أساطير الشعوب ٨٧
جمال الطبيعة الآسر ٩١
عذراً أخي الطبيب ٩٣
عندما تلتقي الموسيقا مع الروحانية والزهد ٩٥
معاناة معلمة ٩٦
مفارقة . معطفي الذي لا يشبه معطف غوغول ٩٨
عودة إلى الطبيعة ١٠٠
اجتماع مهم ١٠٢

صحتلنا إلو بيعة ١٠٣
من قصص الأطفال ـ رد مناسب ١٠٨
سهرة مع الطفل يزن ١٠٩
على أطلال الذاكرة ١١١
أمي ١١٥
رهيجي يا رهيجي ١١٦
تررح خيبي ١٢١
كثر العقل قلة عقل ١٢٤
رحلتي إلى قرية ولغا ١٢٦
قن الدجاج ١٣١
تربة وطنا مانبيعا بالذهب ١٣٤
خميس البضات ١٣٧
بماذا أفكر الآن ١٣٨
وقف وقف يا شوفير ١٣٩
غرد خارج السرب ١٤٤
حبر على ورق ١٤٦
وقعوا بايدك هالقرشين ١٤٨
فلافل حلبية ١٥٠

تطير ١٥١
قسمي ونصيب ١٥٢
حسين أبو سيف الفنان المنسي ١٥٤
للتاريخ فقط ١٥٦
هنية وعافية ١٥٧
تهريب الحمير ١٥٩
سرديات عمك بوخزاعي ١٦١
عملي عاطلي وبس ١٦٤
أحلام صغيرة ١٦٧
ميثاا يا ميثا ١٦٨
دار سوق الحدادين ١٧٢
لا توصي حريص ١٧٥
مدللي وام ذوقان ١٨٠
من غير ميعاد ١٨١
مضي يوم بعد تسعة وعشرين يوم ١٨٥
أشعار بالفصحى والعامية ١٨٧
صراع أزلي بين العقل والعاطفة ١٨٨
رحيل ١٩٠

عيد الحب ١٩١
أهل الحميي ١٩٢
مكدوس ١٩٣
فوضى الكورونا ١٩٥
همس الليل ١٩٧
قال وقلنا ١٩٨
طب شعبي ١٩٩
قتلوا العدالة ٢٠٠
يا صبحة ٢٠١
مطر.. مطر ٢٠٢
اصقالله على أيام البرباص ٢٠٣
حنين ٢٠٥
ضياع ٢٠٩
شقاء ٢١٠
غليص ٢١١
آذار الهدار ٢١٣
صراع الأجيال ٢١٤
لك سيدتي ٢١٥

الناطور ٢١٦
مت قاعداً ٢١٧
عيشة الفلاح ٢١٨
كل شيء جديد تحت الشمس ٢١٩
محنتي مع الكلاب (نباح وعواء) ٢٢١
خارج الخدمة ٢٢٢
تقمص ٢٢٤
خبث السياسة ٢٢٥
تشظي ٢٢٦
عدمية..... ٢٢٧
موائد التشريح ٢٢٨
اليوم ٢٢٩
أبحث عن معنى ٢٣٠
ولادة جديدة ٢٣٢
الكهربا اليوم ٢٣٣
حاجي نقنقة ولوم ٢٣٤
جوع على شبع ٢٣٥
يوميات متسكعة ٢٣٦

فوضى السلاح ٢٣٨
ومضات وقصص قصيرة جداً ٢٣٩
خواطر عالبال ٢٥٢
الفهرس ٢٥٨

****

****

**

لم أكن اتوقع وجود كلب في عزّ الظهيرة ، فكل شيء كان يغطُّ في نوم عميق حتى أوراق الشجر .

عَلِقتْ اللقمةُ في حلقي ولم أستطع البلع وصرخت صراخا يصم الآذان ، ولم يخطر في بالي أن الكلب يكره الأطفال إلى هذه الدرجة ، إذ هجم علي بشراسة وبطحني أرضا ومزق ثيابي . تشبثت بالخبزات جيدا خوفا من أن يأخذهم مني ولا يستطيع أهلي تناول الغداء . ناديت على أمي عدة مرات لكنها لم تسمعني . لم أستسلم ، بل صرخت ، لكن صرختي كانت ضعيفةً هذه المرة واختنقت بدموعي .

أغمضت عيوني وجرجرتُ نفسي على التراب والبحص

ورحتُ في شبه حالةٍ من فقدان الوعي .

كان الكلب الأسود ينشب أنيابه وأظفاره في جسدي الصغير . غبت عن الوعي للحظةٍ من الزمن لأفتح عيني مجددا وأرى جارنا "حسين " مُخلّصي الشهم وقد أمسك بيدي وحاول النهوض بي من على الأرض وفي يده الأخرى عصا كبيرة ضرب بها الكلب المسعور على رأسه ضربةً قويةً فولّى هاربا يعوي من الألم .

عمي "حسين " المُخلّص لملمَ ثيابي ونفض الغبار عنها وسوّى شعري الأشعث وهدأ من روعي ، ثم قادني الى البيت .

كم كان تفكيري بريئا وطفوليا وساذجا عندما اعتقدت أن الكلاب لا تغدر بالأطفال ولا تشتهي نهش لحومهم الغضة .

تباً لك ايها الكلب المسعور إذ مازالت عيونك الصغيرة الصفراء تلاحقني في يقظتي ومنامي حتى الآن ، بل ربما سأنطق بها في سبعة أجيال قادمة .